سلسلة قبل الغروب

القرآن المهجور

أ.د. محمد أبو زيد الفقي

٢٠١٧

الناشر

www.darelnokhba.com

رئيس مجلس الإدارة

أسامة إبراهيم

المدير التنفيذى

سماح الجمال

المدير الفني

أحمد جابر

تصميم الغلاف

أحمد صادق

التصميم الداخلى

وليد محمد

دار النخبة

للطباعة والنشر والتوزيع

٣٣ شارع السنترال – المجاورة الأولى – الحي الأول – مدينة الشيخ زايد – الجيزة – مصر

تليفون: ٣٨٥١١٩٦٩ – ٠٠٢٠٢

٠١٢٨٨٦٨٨٧٥ – ٠٠٢

E-mail: alnokhoba@gmail.com

الطبعة الأولى

1438 هـ - 2017 م

جميع الحقوق محفوظة للناشر

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية:

2017 - 8053

ISBN: 978 - 977 - 6580 - 59 - 6

على سبيل التقديم

في القرآن الكريم يخبر الحق سبحانه وتعالى عن شكوى نبيه ﷺ فيقول:

﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا﴾ (الفرقان الآية ٣٠).

ويجمع المفسرون على أن الرسول في هذه الآية هو سيدنا محمد رسول الله (ﷺ)، وهذه معجزة كبيرة جدا للقرآن الكريم وللنبي؛ لأنه في حياة الرسول كان يوجد المؤمن الذي امتلأ قلبه بالقرآن وبأوامر القرآن ونواهيه، وكان يوجد الكافر من المشركين وأهل الكتاب، ولكن لم يكن موجودا من يؤمن بالقرآن ويهجره.

وبقيت هذه الحال إلى انتهاء القرون الأولى، وربما شملت القرن الرابع أيضا، وفي هذه الفترة لم تُعَطَّل آيات القرآن الكريم، ولم تُهْجَر، لأن السنة كانت في مرحلة التدوين على أيدي رجال عظام، ولم تكن قد ظهرت الأحاديث التي دُسَّت على الأئمة وعلى كتبهم أثناء الطبع.

ولكي نجلي هذه الحقيقة لا بد من تقسيم القرآن الكريم إلى محاور، ولا بد من التنبيه على أننا لا نحصي محاور القرآن الكريم؛ ولكننا سنتكلم عما نستطيع حصره، كي نبين أن هناك مجموعة من الأحاديث أُدْخِلت إلى السنة الصحيحة؛ لتوقيف معاني القرآن وتجميدها، وتعطيلها ثم هجرها بعد ذلك.

المحور الأول: سحر حياة الشعوب وتقدمها

الالتزام بالدين وبكل القوانين هو سر حياة الشعوب وتقدمها، وفي القرآن الكريم الالتزام بأوامر القرآن ونواهيه هو سر قيام دولة كاملة في المدينة المنورة في عشر سنوات، وسيطرت هذه الدولة على العالم في مائة سنة، وكان ذلك بفعل الالتزام، والالتزام عقيدة قرآنية يسميها بعض العلماء: عدم تخلف الوعد والوعيد، والقرآن الكريم يضع الالتزام في ميزان ترتب الجزاء على العمل.

فعلى سبيل المثال: توجد ستمائة وخمسون آية تقول إن الجنة لا يدخلها أحد إلا بعمله الصالح، وهذه الآيات نصية وقاطعة، وكان رسول الله (ﷺ) يقول للسيدة فاطمة ابنته: [يا فاطمة: اعملي فإني لا أغني عنك من الله شيئا].

وهناك (ألفان ومائة وخمسون آية) ترتب الجزاء على العمل لكن بشكل غير مباشر مثل: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ (الزلزلة:٧، ٨)، وقوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ (الأنبياء: ٤٧)، وقوله: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا﴾ (الإسراء:١٣).

هذه أمثلة للآيات التي تخبر عن ترتب الجزاء على العمل، والآيات النصية التي تشير إلى الالتزام بالمعنى عددها أكثر من ثلاثة آلاف آية في القرآن الكريم، وكما قلنا أن عقيدة الالتزام ساعدت في نهوض الدولة الإسلامية وتفوقها، فإنها أيضا سر حياة الشعوب المتقدمة حتى الآن، فالإنسان لا يتعلم إلا بالمجاهدة في العلم، ولا يصبح صاحب مال إلا بالعمل الشاق المتقن، والجنة في الآخرة لا يدخلها الإنسان إلا بالعمل الصالح، هكذا في ثلاثة آلاف آية في القرآن الكريم.

كانت جماعة من المسلمين العرب تحاول الهروب من هذا الالتزام والبحث عن صيغ بعيدة عن القرآن لحل هذه المشكلة، ولأن العرب قوم يكرهون العمل حتى لو كان للجنة، ويقوم وجودهم في الحياة على الحل الشعري النظري للمشاكل - باستثناء القرون الثلاثة الأولى - فقامت محاولات كثيرة في علوم دينية محترمة لحل مشكلة الالتزام في القرآن الكريم، وهجر القرآن، واللجوء إلى نصوص أخرى.

كان الحل السعيد في حديث دُسَّ على كتب السنة الصحيحة أثناء الطبع في بيروت في مطبعة صليب دار العلم للملايين - وسيدنا رسول الله بريء من هذا الحديث لأنه لا يمكن أن يبلغ القرآن للناس، ثم يقول حديثا يعطل نصف القرآن تقريبا، وعلماء الحديث

القدامى ليس لهم ذنب، وردوا مثل هذا الحديث لأنهم كانوا علماء بحق، والشروط التي وضعوها لرد الحديث (هذا الحديث وغيره)، لأنهم قالوا أن العلة في رد الحديث من ناحية المتن، هي معارضة الحديث لآية واحدة من كتاب الله ولو ظاهرا.

انظر النكت الخفية للبقاعي، ومذهب الحنابلة في هذا الشأن، والحديث الذي يلغي ثلاثة آلاف آية من القرآن، ويقضي على أكبر محاور القرآن هو: "لا يدخل أحدكم الجنة بعمله.. قالوا ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا؛ حتى يتغمدني الله برحمته".

والغريب أن هذا الحديث تحول إلى قاعدة إيمانية عند الأمة، فالذي يأكل الميراث حين تخوفه من عدم دخول الجنة يقول لك: لن يدخل الجنة أحد بعمله، وهكذا في كل التقصير والذنوب، وعندما تناقش الموضوعات مع علماء الحديث المعاصرين؛ يقولون لك إن الأمة اجتمعت على البخاري ومسلم، أي أن صدقهما في نظر هؤلاء العلماء مثل صدق القرآن الكريم، وهذا قول خطير؛ يخلو من التعصب للقرآن، ومن دراسة كيف تم تدوين السنة؟

مع أن جمع الأحاديث من لدن الإمام مالك إلى آخر عالم له كتاب في السنة قام على منهج الشك في الراوي والشك في المتن، فالإمام مالك يجمع مائة ألف حديث ولا يرضى إلا عن خمسمائة حديث فقط وبلغة الحساب نصف في المائة، وفعل مثل ذلك سيدنا الإمام البخاري وكل علماء الحديث.

وواجب الشباب من علماء الحديث عدم الوقوف عند السند والجرح والتعديل في الرجال، ولكنهم يجب أن ينظروا إلى المتن، لأن معارضة القرآن جريمة سيُسْأَلون عنها يوم القيامة، وتركيب سند صحيح على متن غير صحيح أمر في غاية البساطة، وأسأل الله تبارك وتعالى أن يوفقهم إلى مراجعة كتب الصحاح؛ فكل حديث فيها يعارض القرآن رسول الله بريء منه، وأسيادنا البخاري ومسلم وغيرهم ليس عليهم أدنى ذنب، لأنهم لم يحضروا نسخ كتبهم ولا طباعتها في المطابع، وسقوط عقيدة الالتزام القرآنية في الأمة لها آثار كارثية سوف نبرزها في المقالات القادمة.

وقد يقول قائل أنني أرد أحاديث في البخاري ومسلم، وأنا لا أقصد ذلك؛ بل أقصد أن يقوم علماء الحديث بإعادة النظر في متون بعض الأحاديث فهم الأولى بذلك، أما إن صمم أحد الناس على أني مخطئ فحسبي أن أتمسلك بالقرآن ولا أقبل نصا برده مهما كان، وحسبي موقف سيدنا رسول الله: كلا تكتبوا عني إلا القرآن]، وموقف سيدنا أبي بكر وسيدنا عمر وسيدنا عثمان وسيدنا علي وسيدنا معاوية في حرصهم على القرآن وعدم التصريح بكتابة شيء غيره، ولكن تقديس السنة والتكلم فيها ليل ونهار وعدم ذكر آية من القرآن، كل هذا معلوم أنه من عمل المخابرات الإنجليزية مع بعض الحكام العملاء في العالم العربي.

المحور الثاني: حماية النفس البشرية وتحريم قتلها

يدور المحور الثاني في القرآن الكريم على حماية وصيانة النفس البشرية وتحريم قتلها والعبث بها، ولا يسمح القرآن الكريم بقتل النفس أيا كان دين صاحبها إلا بالحق، أما التمثيل بالنفس، أو العبث بها فهذا مرفوض، ومحرم على التأبيد.

أ- يقول الله تعالى: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾ (المائدة: ٣٢)، في هذه الآية يحدد الحق سبحانه وتعالى أن قتل النفس في غير قصاص، فإن قتل نفس واحدة تساوي قتل جميع البشر، هذا هو منطق القرآن في تعظيم حرمة النفس الإنسانية.

ب- وعندما قام اليهود بقتل نفس واحدة تحيروا في كيفية الخلاص والطهارة من هذا العمل القبيح، وكان هذا القتل بالخطأ، ومع ذلك طلبوا من نبي الله موسى أن يفتيهم في هذا الأمر، وأخبرهم بأن ذلك يحتاج إلى بقرة تُذْبَح بشروط معينة، لأن القاتل غير معروف وبسبب حرمة القتل، وتعظيم هذه الحرمة سُمِّيَت السورة التي جاءت فيها هذه

القصة بسورة البقرة، وهي أكبر سورة في القرآن الكريم، ويقول الله تعالى فيها ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا ۖ وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ (البقرة: ٧٢).

ج- وفي شروط قبول البيعة من النساء عدم القتل: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰ أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (الممتحنة: ١٢)، أي شرط الإسلام والدخول فيه عدم القتل، ويقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ ۚ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ (النساء: ٢٩)، ويقول: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۖ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ ۖ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (الأنعام: ١٥١)، ويقول: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ ۖ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا﴾ (الإسراء: ٣١)، ويقول: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ۗ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ ۖ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا﴾ (الإسراء: ٣٣).

د- ويجعل الله تعالى قتل الذي يقتل أي يقوم بالقتل، يجعل قتله حياة للجميع، ويقول: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (البقرة: ١٧٩).

هذا: ومعظم آيات القرآن الكريم تجعل من القتل جريمة بشعة، لا إنسانية، وتضع عقوبات كما في حالة قتل المؤمن عمدا، يستحيل معها قبول التوبة في الآخرة، إلا إذا تم القصاص عن طريق ولي الأمر، في هذه الحالة يمكن أن نتخيل البراءة في الآخرة، بعد العرض على الله تعالى، ودخول جهنم فترة تجعل القاتل يتمنى لو كان ترابا، ولم يعش على ظهر الأرض، هذا هو محور القتل في القرآن الكريم ويتضح منه حرص القرآن على حماية النفس البشرية وصيانتها وعدم قتلها إلا بالحق، وهذا المحور موجود في كل الأديان

السابقة على الإسلام، إلا أن وضوحه وبيانه في القرآن الكريم أوسع وأشمل لأنه مهيمن على الكتب السابقة ومصدق لما صح منها.

وقد وردت مادة القتل وتحريمه، والسماح به في حالة الحرب، مع آداب معينة، وشروط لذلك وتحريم وصيانة النفس البريئة، وردت المادة في ١٤٠ موضعا في القرآن الكريم بشكل مباشر، ووردت بالمعنى في أكثر من ثلاثمائة آية.

و- ومع ما جاء في حرمة قتل النفس في القرآن الكريم، استطاع بعض من يهمهم الأمر، ويريدون قتل الناس بالباطل، والظهور في المجتمعات العربية بثياب الصالحين استطاع هؤلاء دس حديث في صحيح البخاري، والرواية أيضا موجودة في التوراة، ربما لتحلل لليهود قتل غيرهم من الناس، وتنفع أيضا مع الحكام العرب في كل العصور.

هذا الحديث معناه: كأن رجلا شريرا بمنطق القرآن ملعون، ومغضوب عليه، هذا الرجل الشرير قتل ٩٩ نفسا بريئة عمدا، ثم ذهب إلى أحد العلماء الأطهار وسأله عن التوبة، فقال له: ليس لك توبة إلا أن تُقْتَل أنت الآخر، ومع ذلك يبقى حسابك على الله تعالى، فقام هذا البلطجي الشرير بقتل هذا العالم الطيب المخلص.

ثم ذهب إلى عالم آخر، فقال له: أنصحك بالتوجه إلى قرية أهلها طيبون مشغولون بطاعة الله تعالى، والبقاء معهم حتى تموت، فاتجه الرجل إلى القرية، وفي الطريق فارق الحياة، فنزلت ملائكة الرحمة لتأخذه إلى الجنة، وملائكة العذاب لأخذه إلى النار واختلفوا اختلافا كثيرا - والملائكة في العلم الصحيح لا يختلفون أبدا - فأوحى الله إليهم أن: يقيسوا المسافة من القرية الأولى إلى القرية الثانية، فجاءت المسافة متساوية، فاختلفوا مرة أخرى.

فقام الله تعالى بكسر الكرة الأرضية - من أجل هذا الملعون وجعل الشق الذي عليه الفاجر أقرب إلى القرية التي كان ذاهبا إليها ومن هنا تم الغفران لهذا الرجل الذي قتل ١٠٠رجل .

ملاحظات على هذه الرواية:

الملاحظة الأولى: إن النبي (ﷺ) والمنسوب إليه هذه. الرواية، لم يذكر أي كلمة عن المساكين المظلومين المقتولين بدون سبب المظلومين، وكأنهم مجموعة من الدجاج، بل لو كانوا دجاجا لتحدث عنهم الرؤوف الرحيم.

الملاحظة الثانية: إن الرجل لم يُقْتَل قصاصا، ولم يتب إخلاصا ومع ذلك احتفل به الملائكة بشكل غير عادي، لدرجة أنهم اختلفوا فيما أمرهم الله به، وهذا مستحيل عقلا، ونقلا.

الملاحظة الثالثة: إن هذا الحديث الذي كُتِب بعد موت الرسول (ﷺ) بـ ٢٤٠ عاما مائتين وأربعين سنة يرد "١٤٠" مائة وأربعين آية من كتاب الله تعالى وعلماء الحديث الكرام يتمسكون بهذا [الكجول] الذين لم يدرسوا نحوا ولا صرفا، ولا فقها، وإنما هو رجل ذهب إلى بلد عربي، وتدرب هناك على إسقاط القرآن وهجره عن طريق الأحاديث المدسوسة.

تحدث الرجل ساعتين في كل ليلة، في وقت متأخر من الليل، عن هذا الرجل الذي قتل مائة ودخل الجنة، ثم قال في نهاية الليلة الثانية [وبرغم أن هذا الحديث يعارض قول الله ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ (النساء: ٩٣). برغم أن هذا الحديث يعارض الآية إلا أنه صحيح]، هذا جهل غير عادي من رجل عادي، لا يعرف عن العلم شيئا لأن علماء الحديث القدامى قالوا: إن أول علة تسقط الحديث أن يعارض آية واحدة في القرآن الكريم ولو ظاهرا.

الملاحظة الرابعة: إن الأمة كلها خاصة حكامها - يستريحون لهذا الحديث ولا يلقون بالمائة وأربعين آية، أو لمحور الحفاظ على النفس البشرية كاملا، وهو محور رئيسي في القرآن الكريم.

الملاحظة الخامسة: إن رسول الله (ﷺ) بريء من هذا الحديث لأنه كان يعرف قدسية النفس البشرية، وهو الذي وقف تحية لمرور جنازة يهودي، وقال الصحابة: أتقف يا رسول الله لجنازة يهودي؟ قال: أليست نفسا؟ أيضا سيدنا الإمام البخاري رضي الله عنه بريء من هذا الحديث، أما المسؤول عن هذا الحديث فهو الذي دسه على الصحيح، ثم على التعليم التلقيني الذي لا يعطي لصاحبه فرصة للتفكير، ثم على إحجام المشتغلين بالحديث عن نقد المتن على ضوء القرآن الكريم، وهذا فقط ما كان يفعله الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين.

الملاحظة السادسة: إن هذا الحديث المدسوس أشاع القتل في العالم الإسلامي حتى يومنا هذا، وأعطى للاستعمار العالمي مجالا واسعا لقتل المسلمين، وأعطى لحكام المسلمين مجالا للقتل، ثم يتبرك بهم الناس بعد ذلك، فإذا كان الرجل قد قتل مائة ودخل الجنة، فليست هناك مشكلة أن يقتل الحاكم المسلم من أجل الحفاظ على نظام ملكه مائة ألف أو أكثر، ويسمى أمير المؤمنين.

ولقد انتقل هذا إلى الجماهير العربية، وهناك قصص يشيب لها الولدان، فقد قام شابان بإيقاف توك توك في إحدى محافظات مصر، وكان الإيقاف بغرض السرقة، وقام سائق التوك توك بإعطائهما الساعة والهاتف المحمول والمال الذي كان موجودا معه، ولكن أحدهم نظر إلى عنقه، فإذا هي طويلة وقوية فقال له: ما رأيك؟ قال: في ماذا؟ قال: أعجبني عنقك وأريد قطعها.

وقبل أن ينهي الجملة الأخيرة كان قد أخرج سكينا وذبح سائق التوك توك، وهذه الرواية جاءت على لسان سيدة كانت موجودة وقت وقوع الحادث، وهذا يأتي كنتيجة طبيعية لأن بلطجيا قتل ١٠٠رجل ودخل الجنة.

الملاحظة السابعة: أنه بعد الربيع الإسرائيلي، انتشرت الحروب في كل مكان من العالم العربي، وأكثر المظاهر وضوحا، هو القتل بأعداد كثيرة، فئات كثيرة يقتل بعضها

بعضا، ولكنهم يدعون الإسلام ويرجون رحمة الله وجنته مقابل قتل أكبر عدد من الأنفس البشرية التي حرم الله قلتها.

يجب أن نعود إلى القرآن ونأخذ منه قبل فوات الأوان أو غروب العرب والإسلام.

ملاحظة: كل حديث لرسول الله (ﷺ) هو تاج على رؤسنا إلا ما عارض القرآن الكريم ولو من ناحية الظاهر حرصا على القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.

المحور الثالث: الرسل ومكانتهم في القرآن

يتحدث القرآن الكريم عن الأنبياء حديثا شريفا راقيا، هذا الحديث يظهر معاناة الأنبياء والرسل مع أقوامهم، وقيامهم على دعوتهم كأحسن ما يكون القيام، ويجعلهم أئمة يُهْتَدى بهم ويُقْتَدى؛ فيقول للمصطفى (ﷺ) عن الرسل السابقين عليه: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَالَمِينَ﴾ (الأنعام: ٩٠).

ويحذر من التفريق بين الأنبياء وتمييز بعضهم عن بعض، فيجعل شرط الإيمان في قاعدة الإيمان الكبرى: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ (البقرة: ٢٨٥)، ويقول: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾ (الأنبياء: ٧٣)، ويقول: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ (الأنبياء: ٩٠).

ويقول عن الأنبياء والرسل إجمالا: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَٰنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ (مريم: ٥٨)، ثم يتحدث عن مهمة الرسل فيقول: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ (النساء: ١٦٥)، ويحذر من السخرية منهم

فيقول: ﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ (الأنبياء: ٤١).

ومادة الرسل والرسالة والإرسال في القرآن جاءت في (٥٢٥) موضعا؛ وهي كلها تحتفي بالرسل، وتقدر ما بذلوه مع أقوامهم من جهد، وما لاقوه منهم من صدود وعنت وظلم.

إن المدقق في تجاوب الشعوب مع الرسل والأنبياء، يرى أن الشعوب كانت تأخذ اتجاهين تتفرع عنهما كل الاتجاهات سلبا وإيجابا:

- الاتجاه الأول: رفض الدعوة والكفر بها.

- الاتجاه الثاني: الإيمان مع محاولة تقريب شخصية الرسول المعصوم أو النبي المعصوم، من الشخصية العامة للناس.

فمثلا: إذا كان المال والنساء هما أساس فتنة الرجال، وفساد الأمم هذا خارج العلاقات الشرعية - أما في العلاقات الشرعية فالمرأة مثل الرجل في التقوى، وقد تزيد عليه أحيانا، المهم أن المال والنساء لا يسلم منهما رجل خارج الشرع - هكذا تسيطر هذه الفكرة على الشعوب، وهم يتعجبون دائما من عفاف الأنبياء وزهدهم فيما ليس لهم من مال، بل يزهدون في أموالهم وينفقونها على المحتاجين من شعوبهم، كما كان يفعل رسول الله (ﷺ)، قبل تلقيه الوحي وبعده.

إلا أن الشعوب مع الزمن وتكرار الرسالات انطبعت لديهم أفكار لا تتغير من جيل لجيل، ويقول ربنا عن هذا التراث البشري المتراكم: ﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا۟ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ أَتَوَاصَوْا۟ بِهِۦ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ (الذاريات ٥٢، ٥٣)، ففي الآية الأخيرة يتعجب الحق سبحانه وتعالى من توارث الناس للمعصية؛ حتى كأنها أصبحت جينات وراثية تنتقل من شعب إلى شعب ومن قرن إلى قرن ومن جيل إلى جيل.

بالنسبة لاتجاه كفر الشعوب بالرسالات فهو معروف ومكرر، إن ما يعنينا هو إلصاق التهم بالأنبياء والمرسلين، حتى يحدث الاقتراب من الشخصية، أو محاولة الإسقاط عليها،

أو التعويض بها، كما يقول علماء النفس، فعلى سبيل المثال إذا انشغل الرجل بالنساء وبكثرة الزواج منهن، وتفرغ لذلك، حاول أن يروي عن النبي ما يرفع عنه هو الحرج، وإذا سقط أحد رجلًا كان أم امرأة في الزنا، حاول أن يتهم نبيًّا بالزنا كما فعل اليهود مع لوط عليه السلام، اتهموه بالزنا بابنته، وهكذا في كل المعاصي.

ولقد جاء في سفر الملوك الأول - الإصحاح ١١ - أن سليمان عليه السلام كان متزوجا من ٧٠٠ سبعمائة امرأة من الشعوب الغريبة، وكان عنده ثلاثمائة أمة فكان مجمل ما كان يعاشر من النساء ألف امرأة، برغم أن الله تعالى قد حذره من الزواج من الشعوب الغريبة لكي لا يعبد آلهتهن، ولكن سليمان فعل ذلك بسبب كفره؛ هكذا تقول التوراة.

ولقد تم دس حديث في صحيح الإمام البخاري، - وليس الإمام البخاري رضوان الله عليه مسؤولا عنه - هذا الحديث يقول أن سليمان أقسم ليطوفن في ليلة واحدة على مائة امرأة - وهو عدد متواضع مقارنة بالعدد المذكور في التوراة - لينجب من كل امرأة ولدا يصبح فارسا، والمشكلة أنه لم يقل (إن شاء الله)، فطاف على المائة ولم تحمل منهن إلا واحدة سلخا أي مولودا مشوها. لذا يُرْجَى من إخواننا علماء الحديث الأجلاء وفيهم الأكفاء النظر في مراجعة هذا الحديث بناء على أصول علمهم كما يلي:

أ- إن كلمة (طاف) لم تأت بمعنى (جامع) في أي قاموس من قواميس اللغة، وليس لها مصدر لا تُؤْخَذ منه على الإطلاق، ولو أخذنا (طاف) بمعنى (جامع) لعارض ذلك كل فعل أو كلمة في القرآن الكريم بهذا المعنى، فما معنى قوله تعالى: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ﴾ (الواقعة: ١٧)، وهكذا في سائر الآيات التي جاءت فيها كلمة (طواف).

إذًا؛ في هذا الحديث عيب في اللغة لأن (طاف) لم تأت أبدا بمعنى (المعاشرة الزوجية)، أما العيب الأخر فهو هجر كلمات ومعاني القرآن الواردة حول فعل (طاف)، وقد كرر هذا الفعل ومصادره ومشتقاته بمعاني مختلفة في القرآن الكريم ١٢ مرة ليس فيها مرة واحدة بمعنى (المعاشرة الزوجية).

أما من ناحية المعقول فالأنبياء لا يفعلون إلا بالكمال، والكمال في المعاشرة الجنسية يقوم على التقديم الجيد ورعاية حالة المرأة النفسية، وفي هذا يقول الله تعالى ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ۖ وَقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُمْ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ (البقرة: ٢٢٣)، ففي هذه الآية ترى الأمر بالتقديم والتهديد على تركه بقوله تعالى:﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ۖ وَقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُمْ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾(البقرة: ٢٢٣)، وهذا نهي عن الظلم للإنسان العادي لزوجته فما بالك بالأنبياء والرسل، وهم لا يفعلون إلا الكمال.

وكل دارس لعلم نفس الجنس يعرف أن الحد الأدنى في العلاقة الزوجية هو قضاء ساعة كاملة مع الزوجة، هذه الساعة تنقسم إلى ثلاثة أقسام ثلث للتقديم وثلث للفعل وثلث للمودة والرحمة التي تعقب الفعل، وكم من بيوت تم خرابها بسبب عدم مراعاة التوجيه القرآني المبين.

إذًا؛ في هذه الحالة إذا صدقنا هذه الرواية - المدسوسة على الصحيح من السنة أثناء الطبع في بيروت - فإن سيدنا سليمان كان يحتاج في هذه الليلة إلى مائة ساعة، وكان وقت القسم يجلس مع ضيف ولم يتبق من الليل إلا القليل فكيف؟!!

إن سيدنا سليمان عليه السلام في القرآن الكريم شخص عظيم، أقام دولة من أقوى الدول وقتها، ومات وهو يتحامل على عصاه ليراهب الجن لكي يعملوا، وأخبره الله تعالى بأن أجلك قد حان، فقال يا رب بقي عمل كنت أتمنى أن أنجزه، فقال له: تبقى ميتا على عصاك حتى يتم العمل، فشكر ربه أنه سيبقى ميتا ولكن العمل سيُنْجَز، أهذا الرجل يضيع حياته للمتع بالنساء؟ سبحانك هذا بهتان عظيم.

يقول الله تعالى عن موت سليمان في موقع العمل:﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ

مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴾ (سبأ: ١٤).

أيها الناس، أيها المؤمنون، أيها العلماء، أيها العامة من الناس، إن لم نستطع أن نرتفع إلى مكانة الأنبياء السابقة السامية فلا يجب أن نجذبهم إلى القاع الذي نعيش فيه.

ب- ومثل هذا الحديث جاء في السنة أيضا أن سيدنا رسول الله (ﷺ) [كان يطوف على نسائه بغسل واحد] وقالوا الطواف هنا يعني (الجماع)، أي جماع جميع الحرائر والإيماء [في حدود سبعة عشر في ليلة واحدة] ودفاعي عن سيدنا سليمان، واعتراضي على الحديث، ورجائي لعلماء الحديث هو نفسه ما يُقَال هنا، ولكن يُزَاد على ذلك التكليفات التي كُلِّف بها النبي في بداية الدعوة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴾ (المزمل: ١-٥) أي كان مكلفا بالعبادة قياما وترتيلا ما بين أغلب الليل وأقل من نصفه بقليل دون غير ذلك.

وبعد انتقال الرسول (ﷺ) إلى المدينة - وهناك بدأ تعدد الزوجات وكانت كلها زيجات لصالح الدعوة وتغلب عليها المجاملة - وأُضِيف إلى العبارة السابقة حول تعدد الزوجات، وقيام الليل، وبناء الدولة الإسلامية التي استطاع أن يقيمها في عشر سنوات، وفي تمام المائة عام كانت قد سيطرت على العالم أجمع.

معلومات:

١- تزوج النبي (ﷺ) من السيدة خديجة وهو في عمر ٢٥ عاما، وزملاؤه يتزوجون من فتيات في عمر الخامسة عشر، وكانت السيدة خديجة متزوجة قبله مرتين، ولو كان له رغبة شديدة في النساء لتزوج فتاة صغيرة، ومع ذلك ظل معها ولم يتزوج عليها ثمانية وعشرين عاما، حتى أصبح عمره ٥٢ عاما، وهذه الفترة هي بداية انصراف الرغبة عند الناس.

٢- بعض الناس يتشددون لقوة الرسول في هذه الناحية - معاشرة النساء - ولكنهم لا يتشددون لقوته في الحرب وشدة بأسه، وهذا ما يدلك على حال الأمة ومستوى ثقافتها قبل الغروب. إنني أناشد علماء الحديث من الشباب إعادة النظر في هذه الأحاديث لمصلحة العلم والإسلام والمسلمين، قبل أن ينكرنا رسول الله (ﷺ) حين نُعْرَض عليه.

ما بين ضال المنحنى وظلاله ضل المتيم واهتدى بضلاله

***

النبي الفقير

قد يجد الباحث في سيرة سيدنا رسول الله (ﷺ) ما يخالف اعتقاد العامة من العلماء، والجمهرة الكبيرة من المسلمين.

وهذا الاعتقاد يؤكد لأصحابه أن النبي (ﷺ) كان فقيرا يتسول طعامه من الصحابة في مكة وفي المدينة على السواء، ومن هنا وجب علينا إعادة قراءة وكتابة سيرة رسول الله (ﷺ) من ناحية الإمكانات المادية، وهذه السيرة تنقسم لعدة نقاط.

الأولى، بعد مولد النبي بوقت قصير جاءت المرضعات من البادية لأخذ الأطفال وإرضاعهم مقابل نصيب من المال، ويقول التاريخ الذي دُسَّ على مصادرنا إن كل المرضعات رفضن أخذ النبي محمد بن عبد الله بسبب فقره، وأن السيدة حليمة السعدية أخذته في نهاية اليوم، من باب شيء أفضل من لا شيء، وهذا سفه وإجرام وتحبيب للفقر من البداية، لأن النبي (ﷺ)، كان ابن ابن سيد قريش، وحاكمها (عبد المطلب)؛ فكيف لهذا الرجل القائد الحاكم الغني أن تهرب المرضعات من حفيده؟ إنه سخف عقلي وتهريج تاريخي، وتدبير خبيث خفي من أعداء الإسلام.

عادت حليمة بحفيد أغنى وأقوى رجل في مكة، وبدأت بإرضاعه عامين، وفي نهاية هذين العامين، بدأ النبي يذهب للعب، مع إخوانه من الرضاعة وهم يرعون الغنم، ومع الوقت وهو في الثالثة من عمره بدأ يقوم برعي الغنم وإخوته - من الرضاعة - يلعبون، واشتهر في ديار بني النجار بالراعي الصغير القدير، وعندما عاد إلى مكة لم تمض شهور حتى ماتت أمه، وطلب منه جده أن يجلس بجواره لحكم مكة ولكنه قال له: يا جدي، إنني تعلمت رعي الغنم في بادية بني سعد، وأحب أن أرعاها في مكة.

ونام التاريخ من سنة ٦ إلى ١٧ من حياة النبي وهذه الفترة لم يتحدث عنها أحد، مع

أنها كانت فترة كفاح وعرق وتكوين ثروة معقولة من رعي الغنم، وكان أهل مكة يعتبرونه أفضل راعٍ للغنم، لأنه كان لا يكسل ولا يفتر ولا يغفل في رعيه للغنم.

وهو القائل "ما لهوت في حياتي إلا مرة نازعتني نفسي للهو، وكنت أرعى الغنم مع زميل لي على سطح جبل من جبال مكة، فقلت له أريد أن أذهب لمشاهدة حفل عرس - كان الزميل ينزل كل ليلة - فقال لي: ابق هنا يا محمد حتى أذهب وأعود إليك، فانتظرته حتى عاد متأخرا، وقال لي: انزل فما زال الفرح مستمرا، فنزلت وفي الطريق خارت قواي وجلست ونمت، حتى استيقظت على وهج الشمس فعدت إلى غنمي ولم أفكر في اللهو أبدا".

بعض الأخوة الفضلاء القراء يطالبون دائما بالدليل..

وها هو الدليل يقول النبي (ﷺ): [ما من نبي إلا وقد رعى الغنم. قالوا: حتى أنت يا رسول الله؟ قال: رعيتها على قراريط لأهل مكة]، وكلمة لأهل مكة تستغرق الجميع، أي أنه رعى الغنم لكل الأغنياء في مكة، ويُلَاحظ أيضا أنه لم يعمل أجيرًا عند أحد بل كان يأخذ نسبة من الربح، ومن هنا كون ثروة لا بأس بها، ولم يعتمد على غنى جده الذي مات بعد فترة قصيرة من موت والدته السيدة آمنة بنت وهب.

الثانية: استيقظ التاريخ النائم دائما مثل أصحابه، عند سنة ١٧ من ميلاد النبي، حيث ذهب إلى عمه وطلب منه السفر معه إلى الشام، فقال: يا ابن أخي إنك صغير على التجارة، وهي تحتاج إلى مال كثير، فقال له من ناحية المال فلا تقلق، فأنا كونت من رعي الغنم مالا لا بأس به، وسافر إلى الشام، ونزل مع القافلة إلى السوق، واستراحوا.

وفي الغد فتح كل صاحب تجارة بعض صناديقه، وتم البيع والشراء، وعندما جاءت الساعة الخامسة، أغلق كل التجار خيامهم على بضاعتهم، وتركوا العبيد يحرسونها، وطلب أبو طالب من ابن أخيه محمد أن ينزل معهم للترفيه في ملاهي الشام، حيث الغناء والطرب، وما يصحب ذلك من أمور، فقال:

يا عم أنا لم ألهو في حياتي ولا أحب اللهو، فانزل مع الناس، وسأبقى على فراشي حتى

الصباح، وفي الليل مرت قوافل من على طريق التجارة القديم - طريق الحرير - ونزلت إلى السوق لشراء ما يلزمهم، من أقمشة وسلاح وطعام، ولم يستطع أن يبيع لهم أحد من العبيد، ودلوهم على الحُر الوحيد [محمد بن عبد الله] فباع واشترى وكسب ليلا، وفي اليوم التالي طلب من تجار الشام أن يتركوا له الطعام والحلوى بسعر التكلفة، لأن الناس تحتاجها ليلا، فتركوا له ما أراد، وظل يبيع ويشتري في الليلة الواحدة.

وقد علق على ذلك الكاتب "آدم الثمثل" في كتابه رأس المال، وقال: إن أكثر الكسب سرعة هو سرعة دوران رأس المال، وهذا ما فعله محمد في سوق دمشق، ولم يرصد أحد من تجار قريش ما فعله محمد؛ لأنهم كانوا يعودون للسوق سكرى وهلكى مما شاهدوه.

ولكن غلام السيدة خديجة، وكان يُدْعَى ميسره، كان جالسا في مقابل فرش النبي؛ فلما عاد إلى مكة، قالت له السيدة خديجة: ماذا حدث في سوق الشام هذا العام يا ميسره؟ قال: يا سيدتي؛ رأيت العجب العجاب، أنت تعلمين أن الناس يبيعون ويشترون في العام مرتين - رحلة الصيف ورحلة الشتاء - ولكني رأيت فتى من قريش اسمه محمد بن عبد الله يبيع ويشتري في الليلة الواحدة.

الثالثة: ذهب النبي (ﷺ) إلى السيدة خديجة بناء على دعوة منها نقلها إليه ميسره، وجلس مع السيدة خديجة وعرضت عليه أن يخرج على تجارتها بأي مبلغ يكون كراتب، أو مكافأة، فاعتذر لها بلطف، وقال: يا سيدتي إني لا أعمل أجيرا، ولكني أخرج على التجارة بنصيب من الربح، لأني أعمل بإخلاص، وأجهد نفسي، وقد عاين ذلك غلامك ميسره.

وفي نهاية اللقاء اتفقا أن يحصل النبي على نصف الربح بعد المصاريف والتكاليف، وظل النبي يعمل سبع سنوات كأكثر التجار خبرة في مال أغنى نساء العرب وكون ثروة لا بأس بها، ولكن التاريخ كان نائما في هذه الفترة، ولم يصح من النوم إلا بعد أن طلبت السيدة خديجة من إحدى صديقاتها اختبار رغبة محمد في الزواج، لأنها تريد الاقتران

به لرجولته وأمانته، وبراعته في التجارة، ورحب النبي بهذا العرض، ودعا أعمامه للذهاب معه.

وتمت خطبة النكاح من الطرفين عن الكفاءة في المال والنسب إلا أن هذه الخطبة زُوِّرت بعد ذلك، وظهرت كأن فقيرا يريد أن يتزوج غنية، لمجرد أن نسبه من قريش - إمعانا في تقرير الفقر - لأن الخطة الخبيثة هي تقرير الفقر للنبي حتى تحبه الأمة - أي الفقر- وهذا من أهم عوامل السقوط.

الرابعة: تزوج النبي (ﷺ) من السيدة خديجة وظل يعمل في مالها، وماله حتى أصبحا من أغنى الناس في جزيرة العرب، والتاريخ نائم كالعادة، وقد يسأل سائل عن الدليل: بعد البعثة الشريفة وتعليم جبريل عليه السلام القرآن للنبي بعدها بفترة انقطع الوحي مدة، حتى عاير أحد المشركين النبي، وقال له: ما أظن إلا أن ربك قد قلاك؛ أي نسيك.

بعدها عاد النبي (ﷺ) إلى السيدة خديجة محزونا مهموما ولما سألته عن سبب حزنه أخبرها بقول هذا المشرك، وأخبرها أيضا بخوفه من انقطاع الوحي فقالت: السيدة العظيمة: اعلم يا ابن العم أن الله لن يخزيك أبدا. إنك لتصل الرحم وتقري الضيف، وتعين الكل، وتساعد على نوائب الدهر.

هذه الأمور التي ذكرتها السيدة خديجة، لا يمكن أن يقوم بها فقير أبدا..

لأن صلة الرحم الحقيقية - بعيدا عن النفاق - لا بد أن تكون مادية، مال، هدايا، ولو كان شيئا من الفاكهة، أما صلة الرحم عن طريق السلام، وكيف الحال؟ فهي غير معروفة في اللغة والدين الإسلامي.

أما إقراء الضيف: فقد سجل التاريخ أن كل الغرباء الذين يصلون مكة وينقطع بهم السبيل قد كان طعامهم وشرابهم في بيت محمد وخديجة، وكانت الركبان تتحدث عن هذا الكرم.

وإعانة الكل: كان الرجل يقابل النبي ويقول: يا محمد كنت أقطع الحطب وأحمله على كتفي، ولكن كبرت سني ولا أستطيع فعل ذلك، وأحتاج إلى ما أحمل عليه، فكان النبي يشتري له جملا، أو بغلا، أو فرسا، أو حمارا، ليحمل عليه ما يعجز عن حمله.

والمساعدة على نوائب الدهر: هذه أكبر باب يُصْرَف فيه المال، وقد حدث التاريخ الصحيح أن سيلا نزل في مكة فأزاح أمامه (٢٤) أربعة وعشرين بيتا لأناس فقراء، ولما علم رسول الله (ﷺ) ذهب إليهم وواسهم، ولكنه أدرك أن حزنهم ليس على ما حدث فقط، بل على ما سيحدث لهم بعد فقدان بيوتهم، فقال لهم لا تخافوا ولا تحزنوا، ولسوف أقوم ببناء البيوت لكم على نفقتي الخاصة.

هذه الأفعال كانت كلها قبل نزول الوحي، وهي لا تصدر إلا عن غني يفعل ما يقول. فغنى الرسول في الطفولة والشباب والكهولة أمر مُقَرر لا يغفله إلا جاهل، أو غافل، أو محب للفقر، أو عميل يريد أن ينشر الفقر في ربوع العالم الإسلامي.

الخامسة: بعد نزول القرآن أصبحنا نعرف أن للرسول (ﷺ) مقررات مالية أحصيناها في عام، فكانت أربعة مليارات دينار؛ كان يصرفها كلها على تجهيز الجيوش، وتنمية الدولة الإسلامية التي أقامها في ١٠ سنوات، ولكن هناك بعض الآيات في القرآن تبين أنه كان يملك المال مثل: قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ (الأحزاب: ٢٨).

من يحاول فهم هذه الآية يجد أنه يعرض عليهن الحياة الدنيا وزينتها، أي أنه سيعطيهن مالا كثيرا للغاية لكي يتملكن به الدنيا، ويعشن على مستوى الزينة، وهذا العرض لا يقدمه رجل فقير، أو حتى متوسط الغنى، ولا أعرف لماذا لم ينتبه لذلك علماء الفقر والإفقار في أمتنا ولماذا يأتون بأحاديث تعارض القرآن معارضة صريحة من أجل إفقار الأمة.

قوله تعالى: ﴿فَقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ ۚ وَحَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا﴾ (النساء: ٨٤). فالقتال لا يتم بإلقاء الطوب

على العدو، ولكنه يحتاج إلى مال كثير ومعدات وخيل وجمال وبغال، وعبيد يحرسون المقاتلين، وقد أمر النبي أن يكون كل ذلك على حسابه الخاص، ولا يطلب من أحد شيئا، ولكنه كان حين ينفق كل ما معه، كان الصحابة العظام يأتون بأموالهم من غير طلب.

المهم أنه كان أول من ينفق وأول من يدفع، والآية واضحة في ملكية الرسول للمال من مقررات القرآن، ولهذا أبواب في كتب الفقه أرجو مراجعتها، مع العلم أن تجارة محمد وخديجة بقيت كما هي، ولكن خرج عليها أناس أكفاء اختارهم الحبيب المصطفى، فكان المال يأتي قوله تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغۡنَىٰ﴾ (الضحى: ٨).

ومعنى الآية أن الله تعالى وجد النبي (ﷺ) عائلا؛ أي يحب الناس، ويتحمل نفقات الكثيرين ويحزن لفقرهم - قبل الإسلام، وبعده - فأعانه لكي يستطيع القيام بهذا الواجب وفتح له أبواب الرزق، والغريب في هذا الأمر أن المفسرين القدامى، رغم التزامهم بقاعدة عدم صرف اللفظ عن ظاهره، إلا أنهم بذلوا مجهودات كبيرة - لن يؤجروا عليها وربما أخذتهم إلى واد سحيق - بذلوا هذه المجهودات لإلصاق الفقر بالنبي، والتدخل في كلام الله تعالى على غير أدب أو خشية وجعلوا العائل مُعالا، أي متسولا، لا سامحهم الله في ذلك.

ولقد ضاعت الأمة بسبب حب الفقر لأنهم قالوا للهجان: الرسول كان فقيرا، والناس يحبون الرسول أكثر من قلوبهم، وعيونهم، فأحبوا الفقر من أجله. وأقول: إن من يقول أن رسول الله كان فقيرا فهو فاسق، وإن اعتقد ذلك وأشاعه فهو من أعداء هذه الأمة، وربما جره ذلك إلى الكفر والعياذ بالله.

ملحوظة:

جاءت بعض الأحاديث تتحدث عن صيام رسول الله بسبب عدم وجود الطعام، وعن ربط الحزام والحجارة على بطنه من الجوع وهي أحاديث بعضها صحيح، وبعضها دُسَّ على الصحيح، وفي كل الحالات تُفْهَم هذه الأحاديث على زهد النبي وحبه للمسلمين وأنه

كان لا يذبح شاة مع أنه يملك، ولكنه كان يعطيها لرجل من المسلمين، تلد له شاة، أو خروفا، ويأخذ منها لبنا وصوفا، وبعد خمس سنوات ربما أصبحت مائة لأن الشاة تلد في العام مرتين.

وهذه هي التنمية الحقيقية للمجتمع، وضرب بذلك مثلا أن الحاكم يجب أن يكون زاهدا، لأنه يملك القرار، ولو عشق الدنيا وزينتها، لتحولت كل الأموال إلى قصره وضاعت الشعوب، وفي دول الخليج في هذه الأيام نصيب الحاكم وأسرته هذا النصيب يُقَدر بتسعين بالمائة من الدخل القومي العام، يحتفظون بمعظمه عند أمريكا والناتو؛ لكي يخربوا به بيوت العرب والمسلمين، ومع ذلك يدعون الإيمان والحرص على الإسلام.

***

دس الروايات في كتب التفسير والحديث

لا أدري كيف صدقت الأمة، أو معظمها أن النبي (ﷺ) مات ودرعه مرهونة عند يهودي! وأنا أعرف أن اليهود لهم يد في دس روايات في التفسير والحديث، والسيرة، وأبرز هذه الروايات أن يكون أحدهم قد أخذ درع النبي (ﷺ) رهنا، وعلى المنابر انساحت هذه الرواية الباطلة في العالم الإسلامي كله، وكان العلماء - الجهلاء - يفخرون بهذه الواقعة المكذوبة التي تثبت فقر النبي (ﷺ)، وهي حادثة دُسَّت فيما بعد القرون الأولى وهي مكذوبة للأسباب التالية:

أ- إن القرآن الكريم كان قد تحدث قبل موت النبي (ﷺ) بـ ٦٠ ستين عاما حين بدأ يرعى الغنم في بني سعد - بطن من بطون بني النجار - وقد تحدثنا كثيرا في المقال السابق [النبي الفقير] ولا داعي للإعادة.

ب- تُوُفِّي النبي (ﷺ) ومعظم اليهود قد أُجْلُوا أو رحلوا عن المدينة.

ج- كان من أصحاب النبي (ﷺ) أغنياء قبل الإسلام وبعده، منهم: أبو بكر رضي الله عنه، وعثمان بن عفان، وطلحة بن عبيد الله، وكثير من الصحابة رضوان الله عليهم، وقد قُدِّرت ثروة طلحة بن عبيد الله قبيل موت الرسول (ﷺ)، بألف ألف دينار - أي مليون دينار - والدينار عشرة دراهم، وكان الدرع مرهون على سبعة دراهم! تصور؟!

وأيضا يُضَاف إلى ثروة طلحة (٥٠٠٠) خمسة آلاف ناقة، و(٥٠٠٠٠) خمسون ألف شاة، و(٢٠٠٠٠) عشرون ألف بقرة، و(٧٠٠٠٠) سبعون ألف عنزة، و(١٠٠٠٠) عشرة آلاف ذنم من أجود أرض العراق، أكان الرسول (ﷺ) يرهن درعه عند يهودي وأحد

أصحابه يملك هذه الثروة؟! سبحانك هذا بهتان عظيم وغباء أليم، وقول زنيم، وإعداد مجرمين، وتصديق سفهاء مغيبين.

د- لماذا الدرع بالذات وهو من أدوات الحرب، ولا يمكن رهنه أو حتى الغفلة عنه: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓاْ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلْيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّواْ فَلْيُصَلُّواْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ ۗ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَٰحِدَةً ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓاْ أَسْلِحَتَكُمْ ۖ وَخُذُواْ حِذْرَكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾ (النساء: ١٠٢)، فكيف يرهن من نزلت عليه هذه الآية ليبلغها للناس سلاحه، عند يهودي، والله تعالى يقول: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ (المائدة: ٨٢).

ه- مات النبي (ﷺ)، وترك مالا كثيرا وأرضا في الشام والعراق والمدينة، وقصة خلاف السيدة فاطمة مع سيدنا أبي بكر معروفة، طالبت بارثها فقال لها: (لقد سمعت رسول الله يقول: "نحن الأنبياء لا نورث وما تركناه صدقة") - الحديث - فكيف يرهن درعه عند اليهودي حتى الموت، ولماذا يترك عليه دين ليهودى، وهو الذي كان يبري ذمته من كل دين مادي أو معنوي قبل أن يموت، ولقد صعد المنبر يوما، وقال: "أي إنسان ظلمته فليطلب مظلمته، وأي إنسان ضربته أو عذرته بطريق الخطأ فليقتص مني الآن".

وقصة الصحابي عكاشة معروفة وتلوكها الألسن الآن، وأنا أرفض وأنكر بكل شدة

حتى أموت أن يكون درع قائد الأمة مرهونا، الغني قبل الرسالة في التاريخ وبعدها في القرآن الكريم، وأرى أن عقول المسلمين في زماننا هذا هي المرهونة بالفعل عند اليهود، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وأبري ساحة علماء الحديث الأوائل من هذه الأقوال الشنيعة، فهم أعلى منزلة وأرفع مقاما من قول مثل هذا الكلام الذي يكذب القرآن والمنطق والعقل والتاريخ، وكانوا عظاما؛ ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيّٗا﴾(مريم: ٥٩)، وغيا أي خبلا في العقل وتزويرا للفعل.

***

القصة الحقيقية لـ (عبس وتولى)

إن مما يعبر عن الذهول عند العرب وعدم التركيز هو اجتماع كثرة من المنتسبين إلى العلم بالإضافة إلى العامة من الناس على أن النبي (ﷺ) هو الذي عبس في وجه عبد الله بن أم مكتوم ومن يدعي العلم يستشهد على ذلك بقول الرسول الله (ﷺ) لعبد الله بن أم مكتوم: أهلا بالذي عاتبني فيه ربى، وبالفعل عاتب الله تعالى رسوله على الجلوس مع المشركين وعدم الجلوس مع فقراء المسلمين وجاء ذلك العتاب بالنص في القرآن الكريم.

أما اتهام الرسول بأنه عبس وتولى حين رأى الأعمى، فإنه قول يدل على الجهل بالقرآن والسنة، وتعمد القول فسق واعتقاده يجر صاحبه بعيدا عن دائرة أتباع وأحباب رسول الله.

والقصة الحقيقية هي كما يلي: كان رسول الله (ﷺ) يجلس مع ثلاثة من كبار مشركي مكة يتمنى هدايتهم، وكان من بينهم الوليد بن المغيرة، ولما طال وقت الجلوس دخل عليهم عبد الله بن أم مكتوم وكان أعمى فرحب به رسول الله (ﷺ) وطلب منه الانتظار وعبس وجه الوليد بن المغيرة تقززا من هذا الفقير الأعمى وتولى أى جعل وجهه للخلف، وظهره للأعمى وهنا غضب الله تعالى على الوليد، وعاتب الرسول، وكان العتاب يدور حول ما يلي:

لماذا تجلس مع هولاء وليس فيهم رجاء وتترك من يرجون رحمة الله تعالى وفي نهاية العتاب قال الله تعالى: ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ﴾ (عبس: ١٧)، وهي عبارة لا يمكن أن تُقَال للرسول، ولكنها مناسبة للغاية للوليد بن المغيرة المشرك الحاقد على الرسول وعلى المسلمين.

ربما يسأل أحد ما هو الدليل على ما تقول:

وأجيب بأن ظاهر النص في القرآن الكريم يرجح أنه أحد الحاضرين مع الرسول وليس الرسول نفسه، فالسورة تبدأ بقوله تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ﴾ (عبس: ١) ﴿عَبَسَ﴾

(هو) ﴿وَتَوَلَّىٰ﴾ (هو) ﴿أَن جَآءَهُ﴾ (هو) فالضمير هنا للغائب وليس للمخاطب، ثم على سبيل الالتفات قال للرسول: ﴿أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ﴾ (عبس: ٢، ٣)، وعند المفسرين قاعدة لم يلتزموا بها وهي:

١- عدم صرف اللفظ عن ظاهرة إلا لقرينة قوية.

٢- إن العبوس في وجه الأعمى خلق سيء لا يمكن نسبته إلى الرسول؛ فقد أقسم الله تعالى بعظم خلق الرسول في قوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم: ٤)، وقال له: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾ (آل عمران: ١٥٩)، وقوله عنه: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (التوبة: ١٢٨)، وقال له: ﴿وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا﴾ (الكهف: ٨) - وباخع أي قاتل - وقال هو عن نفسه: "إنما أنا الرحمة المهداة".

٣- إن الأعمى حين يدخل على أي أحد من عامة الناس أو يلجأ لأحدهم لمساعدته حتى في أيامنا هذه؛ فإن الناس يقومون بالبشاشة في وجهه والترحيب به ويساعدونه، وما زلت أذكر وأنا في شارع الأزهر أمر من أمام مقهى، ورجل كفيف - أعمى - يسأل أحد الذين يشربون الشيشه أن يساعده على عبور الشارع، وكم كانت سعادة شارب الشيشة، وهب واقفًا وأخذ بيد الرجل حتى أوصله إلى الناحية الأخرى، ثم قال له: أي مساعدة أخرى يا والدي؟ فشكره الأعمى ودعى له بالخير. فهل توافقون على هذا الخلق عند شارب الشيشة ولا ترضونه لسيد أخلاق الكون والبشير المصطفى (ﷺ).

أعلم أن بعد كل ما كُتب سيتعجب المخالفون من أهلنا، ويقولون: ولكن الحديث يقول: "أهلا بالذي عاتبني فيه ربي ..." وأقول له الحديث صحيح والعتاب كان على الجلوس مع المشركين، ولكن العبوس والتولي كان من أحدالمشركين وهو الوليد بن المغيرة. ولقد اجتمعنا على اتهام نبينا وقدوتنا وأسوتنا وشفيعنا بالعبوس والتولي وهما من صفات المشركين وقلنا أن هذا من العلم ... ما ظننا بأنفسنا؟!!

لقد وقع ظلم كبير من كثير من المفسرين على سيدنا رسول الله (ﷺ)، لأنهم اعتبروه هو الذي عبس وتولى في وجه الأعمى، وهذا لا يتأتى من رسول الله (ﷺ)، ولا من أي مسلم عادي، لكن حفظ بعض المفسرين للنصوص، ونقلها بلا عقل، أو تعقل، أضر بالرسول، وبالإسلام بصفة عامة ضررًا بالغًا، وتحولت هذه الخرافات إلى اعتقادات عند المقلدين الذين جاءوا من بعدهم، ونسوا دينهم وعقولهم، وظنوا أن العلم كله والذكاء كله قد توقف عند هؤلاء المفسرين.

ومن هنا توقف الفكر الإسلامي وقوف العاجز الذليل الذي تجاهل الزمان والمكان، وأصبح يهرف بما لا يعرف، وأصبح يتجاوز دلالات القرآن الكريم، ويقدم عليها غفلة وسوء نية بعض المفسرين.

وقد تجاوز بعض المفسرين قواعد التفسير نفسه لكي يصلوا إلى اتهام النبي (ﷺ) بهذه النقيصة الأخلاقية، وهم يدركون أو لا يدركون أنهم بذلك يفرِّغون النبوة من روحانياتها، والرسالة من مضمونها.

وفي الحقيقة لا يوجد دفاع عن الرسول في ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ﴾ إلا عندي وعند بعض مفسري الشيعة، وأنا أتعجب من هذه المفارقة؛ فبعض المفسرين من أهل السنة، عماهم الحفظ والتقليد، وعدم التفكير فيما يقولون، أو يقرؤون، أما علماء الشيعة فلم يقبلوا أبدا هذا الطرح الفاجر، وقالوا: إن رسول الله (ﷺ) بريء من ذلك تماما، وأنا هنا لا أدافع عن علماء الشيعة لأننا أمرنا من أمريكا بسببهم ولعنهم، حتى تتهيأ الأجواء للصدام بين السنة والشيعة وانتهاء الجميع وقيام دولة إسرائيل الكبرى، ونحن نسير في هذا الطريق بلا بصر، ولا بصيرة.

رحم الله الإمام البوصيري حين قال مادحًا النبي الكريم:

دَعْ ما ادَّعَتْه النَصَارَى فِي نَبِيهِم ... واحْكُمْ بِمَا شِئْتَ مَدْحاً فِيه وَاحْتَكِم

فَانْسُبْ إِلَى ذَاتِه مَا شِئْتَ مِنْ شَرَفٍ ... وَانْسُبْ إِلَى قَدْرِهِ مَا شِئْتَ مِنْ عِظَمِ

***

أكذوبة أهل البيت؟

في قريتنا كان كل فلاح تنزل به نازلة، أو تحل به مصيبة، كان ينذر أن يعمل ليلة لأهل الله، وكان يذبح فيها عجلا أو خروفا بحسب ظروفه، وكان يحضر طباخا ليقوم بتجهيز الطعام، وكانت هذه الليلة مناسبة عظيمة لأهل القرية جميعا لتناول اللحم والأطعمة الجيدة التي يصنعها الطباخ، حيث كانوا لا يأكلون اللحم إلا إذا مرضت بقرة أحدهم أو جاموسته، فكانت تُذْبَح وتُوَزَّع على أهل القرية، كل منهم يشتري بالمبلغ الذي يقدر عليه، حتى يجمع صاحب الجاموسة ثمنها من تعاون أهل القرية معه، ثم يذهب إلى السوق ويشتري أخرى، وهكذا.

لكن طعم اللحم المريض لم يكن جيدا أبدا، أما لحم ليلة أهل الله فكان لذيذا لدرجة أننا كنا نتذكره في خاطرنا، بعد المناسبة بعدة شهور، حتى تأتي مناسبة أخرى ونقارن بين المناسبتين، وكان أهل الله هم:

١- شيخ الطريقة الذي يجلس على سرير في غرفة وجميع الناس مهما علا شأنهم يجلسون على الأرض، وكان في الغالب رجلا طيبا مهذبا، لا يتكلم إلا فيما ينفع الناس، وإذا لم يتكلم شغل نفسه بذكر الله، وإذا وجد دارسا في الأزهر طلب منه أن يعلم الناس فرائض وسنن الوضوء.

٢- المنشد: رجل جميل الصوت، جميل الشكل ينشد أثناء الذكر ليحمس الناس على الاندماج في الذكر، لدرجة حدوث بعض حالات التشنج والصراخ إلا أنها كانت تنتهي بعد فترة من الوقت أو بعد نهاية الطبقة وكانت الطبقة ساعة كاملة يتحرك فيها الذاكرون يمينا وشمالا، وهم يرددون كلمة واحدة هي: [الله] وعندما تنتهي الطبقة كانوا يؤذنون في أذن الذين تشنجوا حتى يفيقوا.

٣- الدراويش: هؤلاء كانت لمعظمهم مشاكل نفسية، وتم علاجها عن طريق كثرة ذكر الله، وبركة الشيخ، وكانوا هم عماد حلقة الذكر في الأداء والنظام، ولم يكونوا متعلمين أو متحضرين، وكانت تحدث منهم بعض الهفوات، إلا أن أهل القرى كانوا يغفرونها لهم باعتبارهم من أهل الله.

كنا كأطفال نقوم بالذكر في وسط الحلقة إلى أن نتعب ثم نجلس لسماع المنشد حتى تنتهي الليلة، وكانت في الغالب تنتهي في وقت متأخر من الليل، وعندما كبرت وتعلمت أنكرت هذه الليالي مثل غيري، واعتبرتها من البدع، إلا أنها للحق، كانت تملؤنا إيمانا وبهجة، وكانت أنوارها تغمرنا ونحن نجلس في وسط الحلقة، وتجعلنا نطير كالفراشات ونسبح في نهر الخلود، ومع توالي الحلقات وتوالي الطبقات، كنا نشعر في نهاية الليل أنه لا يوجد على الحقيقة في الكون إلا الله سبحانه وتعالى، وعندما أعود إلى دارنا أسأل أبي أسئلة كثيرة منها لماذا نذكر ونحن وقوف؟

فيقول: لا بد من إتعاب الجسد حتى تنشط الروح.

وما هي طبيعة هذا الشيخ؟ فيقول لي إنه من أهل البيت.

ومن هم أهل البيت؟

هم قرابة رسول الله ومن نسل الحسن والحسين، أو غيرهم.

× في مدينة أسوان حيث كنت مجندا في الجيش، وكنا ننزل من وقت لآخر [فسحة] ساعات محددة، كان زملائي يذهبون إلى السينما، أو يسيرون على كورنيش النيل في أسوان، وهو تحفة من الجمال خاصة بالليل.

أما أنا ومعي بعض الزملاء فكنا نذهب إلى المساجد، وإلى بعض حلقات الذكر في المضايف، وكنا نقضي أغلب الليل مع أناس يذكرون وهم يجلسون، وكانوا يكثرون من الصلاة على الحبيب (ﷺ)، وكانوا يقضون في ذلك ساعات محددة وليس الليل كله.

أما الطعام الشهي والحلوى النادرة فكانت تُوَزع على الجميع في نهاية الذكر ولم يكن

هناك دراويش، بل اختفت هذه الكلمة واسْتُبْدِلت بالأحباب، أو المحبين، أو المريدين واسْتُبْدِلت عبارة [أهل الله] بعبارة: أهل البيت، وكان الحضور من درجات اجتماعية مختلفة؛ أغلبهم متعلمون ومثقفون، وبعضهم في وظائف كبيرة: مثل مدير محطة كهرباء أسوان، أو المستشار فلان، أو اللواء - على المعاش - فلان وهكذا، وكانت هذه الليالي تنشط وجداننا، وترقي أحاسيسنا، وتشطرنا نصفين نصف للروح وآخر للجسد، إلا أنني كنت كثير السؤال - من هم أهل البيت.

وبعد مضي أربعين عاما على ذكريات مراتع الصبا، ومع بداية الثورة الإسلامية في إيران، وانتساب الإيرانيين إلى أهل البيت ودخول هذا التعبير: [أهل البيت] إلى عالم السياسة، ومحاولة أهل السنة في مصر، وجمهرة كبيرة في البلاد العربية الانتساب إلى أهل البيت حتى يضيعوا هذه الفرصة على الشيعة.

هنا لعبت السياسة لعبها في الدين ومن هنا بدأت أبحث موضوع آل البيت وأنشغل به. × في القاهرة كان لي صديق، يعمل والده في تجارة الأسماك المملحة - فسيخ، رنجة، ملوحة - ذهبت معه ذات يوم إلى محل والده، وكان المحل كبيرا والعمال لا يستريحون من طلبات الزبائن، واستقبلني والده بحفاوة وترحاب وأجلسني بجواره، وعرفت منه أن ابنه حدثه عني كثيرا.

وبدأ الرجل يتحدث عن عائلته، وأنهم من الذين فتحوا مصر مع عمرو بن العاص، وأنهم من أهل البيت، ثم أشار إلى لوحة كانت معلقة على الحائط، كتب فيها نسب آبائه وأجداده لينتهي هذا النسب بأهل البيت.

نظرت إلى اللوحة، وركزت عليها مجاملة للرجل، ثم خفضت بصري لتقع عيني على الفسيخ والملوحة، وقلت: لا حول ولا قوة إلا بالله لقد لوثنا آل البيت [زفرناهم]، وصرت أتقلب بين الكتب فإذا هي أسوأ من قارئيها، وأتقلب بين الناس فوجدت الشعب المصري معظمه ينتمي إلى آل البيت، وهكذا الشعوب العربية.

فبعض الملوك العرب من عملاء الاستعمار أي استعمار يدعون أنهم من أهل البيت، وشعوبهم التعيسة تصدقهم، ومنهم أسرة - الجد - والأب - والحفيد - اشتركوا بأشكال مختلفة لتسليم فلسطين إلى اليهود، وما زالوا هاشميين ومن أبناء الرسول.

في وسط هذه الحيرة لم أجد ملجأ آمنا إلا القرآن الكريم؛ فقلت أترك كل هذه الكتب التي ألفها أعداء الإسلام، ونسبوها لعلماء مسلمين، وأبحث في القرآن الكريم عن أهل البيت.

أ- جاء هذا التعبير حين دخل الملائكة على النبي إبراهيم فأوجس منهم خيفة، قالوا: لا تخف، وبشروه بإسحاق، ثم قالوا لزوجته الخائفة التي لا تصدق أنها ستلد في هذا السن، ومن هذا الرجل العجوز، قالوا لها: ﴿ قَالُوٓاْ أَتَعۡجَبِينَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۖ رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٞ مَّجِيدٞ ﴾ (هود: ٧٣).

وكان أهل البيت وقتها هم: نبي الله إبراهيم، وزوجته سارة وزوجته هاجر وابنها إسماعيل، وتفرع عن إسحاق أنبياء كثر، وتفرع عن إسماعيل الحبيب المصطفى محمد (ﷺ).

ب- في سورة الأحزاب سجل القرآن الكريم موقفا تعرض له النبي (ﷺ) مع زوجاته، فقد كان النبي (ﷺ) غنيا، قبل الرسالة وبعدها، ولكنه كان يقدم مصلحة المسلمين في كل المجالات على مصلحته هو وأهل بيته، فكان ينظر إلى الشاة التي يريد أن يذبحها، ويقول في نفسه لو أعطيتها لفقير مسلم، فستلد له شاة أخرى، ويشرب من لبنها، ويجز صوفها ويصنع منه الملابس والخيام، وبعد خمس سنوات سيكون لديه أربعون شاة من نتاج هذه الشاة، فكان يرسل إلى فقراء المسلمين ويعطيهم ما عنده من شياه، ويطعم أهله ما تيسر من طعام.

ولكن هذا كان يسبب ضيقا وحرجا للنساء - نساء النبي - فاجتمعن ذات يوم واتفقن

على مطالبة الرسول برغد العيش مثل غيرهن من النساء، ورفض الرسول (ﷺ) هذا العرض منهن واعتزلهن، ونزل القرآن الكريم ليضع منهاجا للتقوى والإيثار للعمار؛ ينفع الأمة الإسلامية حتى قيام الساعة.

وخلاصة المنهاج: إذا كنت تملك فلا تستهلك كل ما تملك، ولكن انظر إلى المجتمع الذي تعيش فيه فعليك حق له، وإن متع الدنيا مهما كانت طيبة وجميلة فالخير والجمال الذي لا حدود له عند الله، ومن هنا كان الرسول يجهز الجيش من ماله، وينمي حياة المسلمين من ماله الخاص، ويستهلك هو وأولاده وأزواجه القليل القليل، ومن هنا اعتقد بعض الناس أنه كان فقيرا، وخالفوا القرآن الكريم: ﴿وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغۡنَىٰ﴾ (الضحى: ٨).

نزل القرآن الكريم يخير نساء النبي بين الحياة في خدمة الإسلام والمسلمين وبين الحياة السعيدة الرغيدة، والتي يأكل فيها الإنسان ما شاء ويلبس ما يشاء. وبدأ الحديث القرآني من الآية ٢٨ إلى الآية ٣٣ في سورة الأحزاب: قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيۡنَ أُمَتِّعۡكُنَّ وَأُسَرِّحۡكُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلۡمُحۡسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿٢٩﴾ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأۡتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖ يُضَٰعَفۡ لَهَا ٱلۡعَذَابُ ضِعۡفَيۡنِۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا ﴿٣٠﴾ وَمَن يَقۡنُتۡ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا نُّؤۡتِهَآ أَجۡرَهَا مَرَّتَيۡنِ وَأَعۡتَدۡنَا لَهَا رِزۡقٗا كَرِيمٗا ﴿٣١﴾ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِۚ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّ فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ﴿٣٢﴾ وَقَرۡنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجۡنَ تَبَرُّجَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ ٱلۡأُولَىٰۖ وَأَقِمۡنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا ﴿٣٣﴾﴾.

وفي الآية الأخيرة قال تعالى: ﴿وَقَرۡنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجۡنَ تَبَرُّجَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ ٱلۡأُولَىٰۖ وَأَقِمۡنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ

﴿ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ (الأحزاب: ٣٣)، وأهل البيت كما في السياق هم نساء النبي وأولاده الموجودون في البيت. هذا هو النص القرآني، لكن نتيجة للفتن التي بدأت في العالم الإسلامي من البداية أُدخِل في أهل البيت كل قرابة الرسول حتى أبي لهب، ويوجد عن بعض تلاميذ الإمام مالك من قال: يجوز التوسل بالعصاة من أهل البيت، ودخل المسلمون في غيبوبة أهل البيت حتى الآن، ولكن شجر أعداء الإسلام قد أثمر، فالمسلمون ينقسمون الآن إلى سنة وشيعة، ويتقاتلون، وسوف يفني بعضهم بعضا، مع أنهم ينتسبون فيما يقولون إلى أهل البيت.

والحقيقة الأولى: إن أهل البيت في القرآن هم نساء النبي وأولاده الأحياء، ولا زيادة على ذلك، والسيدة فاطمة قبل الزواج كانت من آل بيت محمد بن عبد الله، وبعد الزواج كانت من آل بيت علي بن أبي طالب، ولا شيء غير ذلك.

الحقيقة الثانية: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ (الحجرات: ١٣)، وليس في الإسلام قرابة تغني عن العمل والتقوى والاستقامة، فقد مات أبو لهب كافرًا، ولم تنفعه قرابته من النبي، وتم قطع يد فاطمة المخزومية في سرقة ولم تشفع لها القرابة، وعندما ذكر الصحابة النبي (ﷺ) أنها قريبة له، صعد المنبر وقال: "لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها"، وعمه وحبيبه أبو طالب مات كافرًا، ولم يشفع له أنه عم النبي ولا والد علي بن أبي طالب، والنبي هو القائل: "من قصر به عمله لا ينفعه نسبه".

الحقيقة الثالثة: إن النبي (ﷺ) هو خاتم الأنبياء، والرسالة الخاتمة والرسول الخاتم لا يمكن أن يترك بعده، من يستغني به عن الرسالة سواء كان عليا، أو الحسن، والحسين، أو السيدة زينب إلى آخر هذا النسل الطيب، ولذلك مات أبناء الرسول الذكور قبل موت الرسول، حتى لا تقوم مجموعة من الأغبياء والمجانين بتعيين أحدهم رسولا

مكان أبيه، بل ختم الرسالة تم بعناية شديدة ليس أمام المسلم إلا توحيد الله تعالى والإيمان برسله، وآخرهم محمد رسول الله (ﷺ) وأن يكون هذا الإيمان قطعيا أبديا نهائيا.

الحقيقة الرابعة: إن الذي روج لفكرة اتساع آل البيت حتى يدخل فيهم تاجر الفسيخ، هو الفهم الخاطىء لهذه الآية الكريمة، وهي قوله تعالى في سورة الشورى: ﴿تَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا۟ وَهُوَ وَاقِعٌۢ بِهِمْ ۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى رَوْضَاتِ ٱلْجَنَّٰتِ ۖ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٢﴾ ذَٰلِكَ ٱلَّذِى يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ۗ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٢٣﴾﴾ (الشورى: ٢٢، ٢٣).

في الآية الأولى والثانية يبين الله تعالى أن الأجر سواء كان خيرا أو شرا يترتب على العمل، والذين آمنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات وليس شرطا في هذه المنزلة، أن يكونوا من أصحاب النبي أو أقربائه، ثم يقول للنبي: (قل لا أسألكم على هذه الرسالة أجرا إلا المودة في القربى).

وللأسف نرى بعض المفسرين يقولون إلا مودة أهل قرابتي، ونقول لهم لو طلب النبي مودة لأهل قرابته بما تحمل هذه المودة من هدايا، وعطايا ورعاية، يكون النبي قد طلب أجرا، والأنبياء جميعا لا يحصلون على أي أجر في مقابل الرسالة، فطلبه الأجر مستحيل.

والمعنى الذي ينسجم مع القرآن الكريم هو أنه لم ولن يطلب أجرًا، ولكن يوجههم إلى أن تعم مودتهم أقربائهم، فالزوج يجعل بينه وبين زوجته مودة تقوم على الإسلام، والرجل يود أباه وأمه، والأولاد كذلك، وكل أسرة مسلمة تود الأسر الأخرى، وهكذا تقم المودة والحب بين جميع المسلمين، ويكون هذا ما يرجوه الرسول (ﷺ) لهم.

أما موضوع أئمة الشيعة من أول الإمام علي حتى الآن، وأئمة أهل السنة أيضا فهي

صناعة استعمارية؛ زرعها أعداء السلام منذ وقت مبكر جدًّا حتى تنتهي بالقتال والموت والخراب والدمار، وتسمع في الأيام القادمة ما لا يرضيك، وما كنت تتمنى أن تموت قبل أن تسمع به أو تراه من وراء هذه الفتنة (توسيع دائرة أهل البيت بلا دليل من القرآن أو دليل لا يعارضه من السنة).

ومن جملة الغباء الأزلي أن الإمام الحسين مات قبل بناء مدينة القاهرة بـ ٢٥٠ عام ولا يوجد له رأس ولا جسد في القاهرة، ومع ذلك كان كبار علماء المسلمين السنة ينزلون ليلا لزيارته، ويتبركون بغسل دورة مياه المسجد. قال المتنبي: يا أمة ضحكت من جهلها الأمم.

***

تفضيل الأنبياء

منذ حوالي ثلاثمائة عام تقريبا، بدأت الكنيسة في الغرب في رفع شعار مفاده أن سيدنا عيسى عليه السلام هو أفضل مخلوق بشري جاء إلى الدنيا، وحجتهم أن أمه هي السيدة مريم التي كُرِّمت في القرآن والأناجيل، وأن أباه هو الله سبحانه وتعالى، وبدأت الكنيسة في دق طبول الاستعلاء بسيدنا عيسى على جميع الأنبياء، وأن أتباعه هم أفضل من أتباع أي نبي على الإطلاق.

كان رد الفعل الإسلامي - أو رد فعل بعض من ينتسبون إلى الدين الإسلامي - هو تمجيد سيدنا محمد (ﷺ)، وجعله أفضل وأشرف الأنبياء والمرسلين.

والحقيقة أن كلا الطرفين على باطل، لأن تفضيل الأنبياء والرسل في القرآن الكريم هو تمييز لهم في أداء المهمات المختلفة، أما التفضيل الذاتي فهو علم غيبي عند الله سبحانه وتعالى، المهم أنه من هذا التوقيت إلى الآن بدأت تدخل صيغة لم تكن معروفة قبل هذا التاريخ في أدبيات الفكر الإسلامي، وانساحت على السنة المتحدثين في الدين وهي صيغة: الصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وهذه الصيغة لا يمكن أن يجدها القارئ في عصر الصحابة والتابعين وتابع التابعين، وحتى نهاية القرن الحادي عشر الهجري.

ومن قضايا القرآن المهجور قضية تفضيل الأنبياء بعضهم على بعض من قبل البشر، لأن مربع الإيمان في القرآن الكريم، هو الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله، وعدم التفريق بين أحد من رسله، إلا أن هذا المربع لا يُلْتَفت إليه الآن، وأصبح المسلمون يفضلون سيدنا رسول الله (ﷺ) على جميع البشر، وجميع الأنبياء والمرسلين، وهذه عقيدة شعبية لا علاقة لها بالإسلام، يقول الله تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ

ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ (البقرة: ٢٨٥).

ونلاحظ في هذه الآية الكريمة أن الله تعالى أوجب الإيمان على المؤمنين بأن يكون بالله وملائكته وكتبه ورسله، ولكنه لما ذكر الرسل - لعلمه السابق - قال لا نفرق بين أحد من رسله، ثم عرف دستور المؤمنين وقال: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ (البقرة: ٢٨٥). أي أن هذه العقيدة - عدم التفريق بين الأنبياء والرسل - غير قابلة للاجتهاد، أو العاطفة، أو الضلال، ولذلك حين تسمع أحد العلماء يقول: أشرف المرسلين؛ لا تعتبره من العلماء لأنه يخالف صريح القرآن، ويكسر مربع الإيمان.

وفي القرآن الكريم ما يؤكد حقيقة الإيمان بالرسل وأن التفريق بينهم دليل جهل، والإصرار عليه فسق؛ فيقول الله تعالى لرسوله سيدنا محمد (ﷺ) وهو يعلمه ويعلمنا كيف يكون الإيمان بالرسل: ﴿قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾ (آل عمران: ٨٤). وفي هذه الآية الكريمة يطلب الله تعالى من النبي (ﷺ) أن يعلن إيمانه وإيمان المؤمنين معه بمجموعة من الرسل، على قاعدة واحدة وشرط واحد من غيره يفسد الإيمان ألا وهو قوله ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ (البقرة: ٢٨٥).

أما وقوف الخطباء على المنابر، والعلماء في أجهزة الإعلام يفضلون النبي محمد (ﷺ) على الجميع، ووقوفهم هذا: قضية من خارج القرآن، ولا علاقة لها به، لأن الأنبياء والمرسلين

جميعا عبارة عن صندوق من الجواهر لا يفضل بعضه على بعض إلا الصانع سبحانه وتعالى، وليس لأي عبد مهما كان علمه أن يستطيع اقتحام علم الله تعالى، وتفضيل أحد من رسله على أحد، لأن هذا محض جهل وقلة إيمان.

وانظر إلى هذه المنظومة التي ذُكرت في سورة الأنعام من الآية ٨٢ إلى الآية ٨٩؛ وفيها ذكر إبراهيم، وإسحاق، ويعقوب، ونوح، وداوود، وسليمان، وأيوب، ويوسف، وموسى، وهارون، وزكريا، ويحيى، وعيسى، وإلياس، وإسماعيل، واليسع، ويونس، ولوط، وبعد هذا يقول للنبي (ﷺ): ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَالَمِينَ﴾ (الأنعام: ٩٠).

ما هي الذكرى التي يريد القرآن تبليغها للناس على لسان النبي الكريم، الذكرى هي: أن الرسل الأوائل مشاعل هدى ونور وأن على النبي والمؤمن ممن معه الاقتداء بهم، وعدم التفريق.

وأذكر أنني كنت أناقش رسالة علمية في إحدى الكليات التي يتباهى العاملون فيها بأنها قلعة العلم، وعندما قلت للطالب: لماذا تقول على النبي الحبيب: أشرف المرسلين؟ غضب الأساتذة وثاروا وفاروا وقالوا هناك أحاديث صحيحة تقول: أن النبي (ﷺ) هو أفضل البشر، والأنبياء والمرسلين.

نظرت إليهم بإشفاق من يزور مصحة نفسية، وقلت لهم: الحديث الصحيح هو قوله (ﷺ): "لا تفضلوني على يونس بن متى ...". والقرآن الكريم يمنع التفضيل، ويجعله مناقضا للإيمان، ولكن يبدو أنكم نبذتموه وراء ظهوركم، ولم يعد عندكم فكرة عنه بعد هجرانه.

ما بين ضال المنحنى وظلاله ضل المتيم واهتدى بضلاله

ملحوظة

يجب على المؤمن عدم التفضيل ولكن هذا لا يمنعه من قدر من الحب الزائد لحبيبه (ﷺ) لأن الصلاة عليه هي الفريضة الغائبة الآن.

نوح عليه السلام

عاش سيدنا نوح ألف وأربعمائة سنة، تسعمائة وخمسون قبل الطوفان وأربعمائة وخمسون بعد الطوفان، كان نموذجًا للعبادة والصبر وتحمل المشاق، وكان رسولًا ونبيًّا طوال هذه المدة، ولم يصل أحد إلى عمره وكثرة عبادته، ومع ذلك كان قليل الدعاء كثير العمل.

لبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عامًا؛ رأى منهم العنت والنكران والتسلط، قال تعالى على لسان سيدنا نوح: ﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا﴾ (نوح: ٧).

١- وفي يوم من الأيام وبعد أكثر من (٩٠٠) تسعمائة سنة أوحى الله تعالى إليه: ﴿وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ (هود: ٣٦)، أي أن الدعوة إلى الله التي تقوم بها يا نوح لن تأتي بمؤمن جديد، ومن هنا أراد سيدنا نوح أن يتخلص من هذا العناء فدعا على قومه بقوله: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ۝٢٦ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ (نوح: ٢٦، ٢٧). وبعد فترة من هذا الدعاء أخبره الله تعالى بالطوفان الذي سيقضي على قومه ولن يترك أحدًا منهم.

٢- فقال سيدنا نوح: إذن كيف النجاة لي ولمن معي من المؤمنين؟ فقال الله تعالى: ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا ۚ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ﴾ (هود: ٣٧).

٣- ومعنى هذا الأمر الإلهي: ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا ۚ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ﴾ (هود: ٣٧) معناه القريب: اصنع نجاتك بنفسك يا نوح، وسوف نلهمك دقة العمل وسوف نوحي إليك بالبداية والنهاية، وبدأ نوح في قطع الأشجار وسحبها إلى البحر الميت (لعطنها) لمدة ثلاثة أشهر، ثم أخرجها وعاد بها لمكان صناعتها على ربوة عالية، وبالطبع كان يساعده كل من آمن به ثم بدأ (بعطن) دفعة ثانية وثالثة إلى آخره.

وكان في وقت العطن يعمل في الأخشاب الجاهزة، واستغرق هذا العمل عند ابن جرير

الطبري (٤٠٠) أربعمائة عام في القول الأول وثلاثمائة عام في الثاني، وفي الثالث (٢٠٠) مائتا عام، وعند ابن كثير وباقي المفسرين الحد الأعلى أربعون عامًا يعمل بها في ظروف شديدة السوء: ﴿وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُوا۟ مِنْهُ ۚ قَالَ إِن تَسْخَرُوا۟ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾ (هود: ٣٨). ومع ذلك أنجز هذا العمل، وبقيت ملاحظات:

الأولى: إنه لم يعتمد على ١٤٠٠ سنة من عبادة خالصة لله تعالى، ولم يعتمد على ١٤٠٠سنة رسالة قابلته فيها صعوبات لا يتحملها غيره، ولم يعتمد على دعوته لله تعالى، وما وجده من رفض من قومه.

الثانية: إنه سأل الله تعالى النجاة، واستجيبت دعوته بعد أربعين عامًا، ولم يكل ولم يمل، بل ظل يعمل ولا يتعجل قضاء الله سبحانه وتعالى، ويمكن أن نعلن للناس في ظل قصة سيدنا نوح عليه السلام: أن الدعاء لا يُتَقبل إلا في حالتين لا ثالث لهما: الاستحقاق كما حدث مع نوح عليه السلام، والحالة الثانية الاضطرار، وهذا القبول مكفول لكل الناس، المستحقين أو المضطرين، أما كثرة الدعاء وتأليف شرائط وكتب في هذا المجال - بدون عمل - فهو محض خيال، وتخدير للأمة لكي تغيب عن ماضيها العظيم، وحاضرها الأليم، ومستقبلها الموجود خلف سحاب كثيف.

الثالثة: إن نوحا لما أحكم بناء السفينة، وانتهى من عمله الشاق دعا ربه لمدة ثلاث ثوان كما جاء في القرآن الكريم: ﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ﴾ (القمر: ١٠)، فالدعاء قاصر على كلمة (فانتصر) ثلاث ثواني وليس ثلاث ساعات كما يفعل بعض المتدينين العجزة، فاستجاب له ربه في أقل من ثانية: ﴿فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾﴾ (القمر:١١-١٤)، هنا تأتي الاستجابة السريعة لمن عمل وتعب، أما الصورة المأخوذة عن الأنبياء أنهم لا يعملون ويكتفون بالدعوة لهداية الناس، فهي صورة يجب أن يُعَاد فيها النظر والتفكير على هذا النحو:

١- لقد بنى نوح سفينة من أقوى السفن حتى الآن، فالسفينة المصرية سالم اكسبريس غرقت في البحر الأحمر عام ١٩٩٠م لأن موجة ضربتها كان ارتفاعها ٥ أمتار، فقسمتها نصفين ومات كل من كان على متنها، وكان عددهم حوالى (٤٥٠٠) أربعة آلاف وخمسمائة معتمر، بالإضافة إلى طاقم السفينة، أما سفينة نوح فقد وصفها الله سبحانه وتعالى بقوله: ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ﴾ (هود: ٤٢)، وما أدراك ما ارتفاع الجبال.

٢- وكانت أكبر سفينة حتى الآن، لأنه حمل فيها من كل زوجين اثنين، وهذا يعني كثرة الغرف في السفينة، وتعدد المساحات وهناك إجماع من علماء التفسير والجيولوجيا على أن طولها كان ١٨٥متر وعرضها كان ١٢٠ مترًا، وعندما زرت المتحف الحربي في مدينة نيويورك بالولايات المتحدة، صعدت إلى ظهر حاملة الطائرات الأمريكية، وقالوا لي: أنها شاركت في الحرب العالمية الثانية، وأنها أكبر حاملة طائرات تم تصنيعها حتى الآن، ولم يعد يُصْنَع مثلها لضخامتها، فهممت بأن أقيس بالخطوة طول وعرض الحاملة، ولكن أحد الجنود سألني مستنكرًا ماذا تفعل؟!

قلت: أريد أن أعرف طول وعرض السفينة، فقال لي: أنا أريحك من هذا العناء، فالطول ١٢٠ مترا، والعرض ٨٠ مترا، وهنا أدركت أن سفينة نوح كانت منفردة في التاريخ.

٣- يجب أن نستوعب من هذا الدرس: أنه لا أمل بدون عمل، وأن كثرة الدعاء مع الكسل محسوبة على العبد وليست في صالحه، وهذا درس عظيم من دروس القرآن المهجور.

وصدق البارودي حين قال:

على طلاب العز من مستقره ولا ذنب لي إن عارضتني المقادر

***

داوود عليه السلام

في حياة سيدنا داوود عليه وعلى نبيا أفضل الصلاة والسلام قصص وعبر من الممكن أن تكون مفيدة للشباب وللكبار على السواء، فقد بدأ سيدنا داوود حياته راعيًا للأغنام بالأجر، وكان يرعى غنمه في الجبال، وفي أغلب الأحيان لا يكون معه أحد، وكان يعرف أن لقومه أعداء يقاتلونهم من حين لحين، وكان يشتاق إلى الدفاع عن أهله ووطنه، فبدأ يعلم نفسه المصارعة من وقت مبكر في حياته، وبدأ يصارع الخرفان من الأغنام. وكان يترقى من الضعيف للقوي، ثم انتقل إلى مصارعة الذئاب والأسود، والوحوش، حتى أصبح يملك مهارة وقوة كبيرة.

وفي يوم من الأيام وهو أعلى الجبل مع غنمه، سمع أصواتًا عالية تأتي من سفح الجبل، فنظر فإذا جيشان يتراصان في مواجهة بعضهما البعض، فأخذ غنمه ونزل إلى مكان به مراع جيدة، ثم تركها وذهب لمشاهدة القتال بين الجيشين، وعلم أن أحد الجيشين لبني إسرائيل، والجيش الآخر لأعدائهم، ولكنه وجد أن في جيش الأعداء قائدًا يُدْعَى جالوت - أو جليات - وأنه يقتل كل مقاتل يذهب إليه ليصارعه من جيش بني إسرائيل.

وبدأت علامات هزيمة بني إسرائيل تبدو في الأفق، فذهب داوود إلى القائد العام لجيش بني إسرائيل، وقال له إني أريد أن أنزل القتال لمصارعة هذا الرجل الجبار، فقال له طالوت ما عملك؟ قال راع للغنم، قال له: اذهب يا بني إلى غنمك، فقد قتل جالوت معظم قادتنا، قال داوود، اسمح لي بالقتال، وإن مت نلت شرف الشهادة في سبيل الله، وإن كان النصر فأنتم تستحقون ذلك.

فسمح له طالوت بالنزول إلى القتال، فنزل واتجه إلى جالوت وسأله جالوت عن تاريخه في المصارعة، فقال له: أولها اليوم فقال له: كيف أصارعك وأنت ليس معك درع ولا سيف ولا حربة ولا تركب فرسًا، ومصارعتي لشاب جهول مثلك عار علي بين الأمم،

فقال داوود: اخلع ما عليك من عدة الحرب وترجل عن فرسك، وصارعني رجلا لرجل.

فنزل جالوت وهو ينظر إلى داوود بنظرة الاحتقار المشفوعة بالإشفاق، وبدأت المصارعة بين الرجلين. وفي خلال لحظات قليلة صرع داوود جالوت، وفر الجيش من أمام بني إسرائيل بعد مقتل قائده، واحتفل بنو إسرائيل بهذا النصر الكبير، وطلب قائد بني إسرائيل من داوود الموافقة على تعيينه قائدًا للجيش ووافق داوود، ثم عرض طالوت على داوود أن يزوجه ابنته فوافق، والقصة في سورة البقرة، من الآية ٢٤٦ إلى الآية ٢٥١، ولكن نذكر منها هذه الآية: ﴿ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (البقرة: ٢٥١).

بدأ داوود في قيادة بني إسرائيل وكان يشغله أمران:

الأول: تطوير الصناعة الحربية والمدنية من خلال العمل المضني لكل الناس، وهو على رأسهم الأكثر عملًا وأملا لهذه الأمة.

والأمر الثاني: أنه كان مشغولًا بذكر الله سبحانه وتعالى، اعترافًا بفضل الله وحبًّا لذاته سبحانه وتعالى، وكان ينشد إنشادًا جميلا يتقرب به إلى الله وكان ذا صوت لا نظير له، فنادى الله تعالى على الجبال والطير وقال لهما: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴾ (سبأ: ١٠)، كان يصنع الحديد ويلينه بالنار، لكن أثناء إنشاده في حب ربه، كان الحديد يلين في يديه من غير نار، وأقام داوود ومن بعده ابنه سليمان أقوى مملكة في التاريخ القديم.

وعندما قويت مملكة داوود واشتد ساعدها، بدأ داوود يحن إلى الأناشيد [المزامير] وبدأ في نهاية حياته يميل للعزلة ويحبها، فكان يخرج للناس يومًا، ويعكف في المحراب يومًا للصلاة والإنشاد ويسميه اليهود في التوراة في سفر المزامير ملك الغناء أو سيد المغنين، ولكنه مع الوقت، وبعد أن تأكد من أنه أدى دوره في النهوض بدولته على أحسن

وجه بدأ يجلس في المحراب للعبادة أكثر من يوم، ولا يخرج للناس إلا قليلا.

وهنا أرسل الله له ملكين، فدخلا عليه المحراب من غير باب مفتوح أو نافذة ففزع منهما قالوا: لا تخف، قال أحدهما إن هذا أخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة فأخذ نعجتي وضمها إلى نعاجه وغلبني في الحديث.

وكان من المفترض أن يسأل سيدنا داوود الطرف الثاني، ولكنه كان في عجلة من أمره لأن قلبه معلق بذكر ربه، ولا يريد أن يضيع منه لحظة، مع أنه يعرف أن إعمار الأرض نصف عقيدة أي مؤمن، ولكنه قال له: لقد ظلمك، ومعظم الشركاء يفعلون ذلك، إلا الذين آمنوا، وقليل ما هم، وهنا أدرك داوود أن الله تعالى يعاقبه على ترك الحكم بين الناس، ومراقبة العاملين في الدولة وتنمية الزراعة والصناعة، والقعود للعبادة بأكثر من المفروض فخر داوود راكعًا ودعا ربه وعاد إلى عمله في قيادة الدولة والعبادة يومًا والعمل يومًا آخر والقصة بأكملها وردت في سورة ص من الآية ١٧ إلى الآية ٢٦.

وبعد سبعة أعوام من هذا التاريخ بدأ داوود مرة أخرى يميل إلى العبادة بشدة وينقطع عن الحياة وإدارة العمران، وهنا قرر الله تعالى عزله من الحكم، وتعيين ابنه سليمان مكانه، وتم هذا بلطف شديد من الله سبحانه وتعالى، ففي يوم من الأيام اجتاحت أغنام بعض الرعاة حديقة خضراء جميلة وأكلوا منها حتى جعلوها كالعصف المأكول؛ فذهب أصحاب الحديقة إلى سيدنا داوود يشكون له ما حدث من أصحاب الغنم، وإهمالهم في رعي أغنامهم مما أدى إلى تدمير الحديقة، فأمر سيدنا داوود بعض كبار التجار بتقييم الخسارة فذهبوا وعادوا، وقالوا له: إن التلف الحادث في الحديقة يساوي (١٠٠٠) ألف رأس من الغنم.

وكان لأصحاب الغنم ألف رأس إلا سبعين، فأمرهم سيدنا داوود فسلموا الغنم إلى أصحاب الحديقة، وخرجوا يصرخون، ويتألمون من هذا الحكم الذي دمر حياتهم وسبيل معيشتهم، وكان سيدنا سليمان وقتها يلعب مع أصدقائه في بهو القصر، فلفت نظره ما

يحدث حوله؛ فسألهم عن سبب صراخهم واستيائهم، فقالوا: أبوك دمر حياتنا وأصبحنا بلا عمل، وقصوا عليه ما حدث، فقال لهم عودوا إلى أبي فقولوا له إننا نرفض حكمك ونرضى بحكم ابنك سليمان، فضحك نبي الله داوود ومن كان حاضرًا من الوزراء وكبار التجار، وأمر باستدعاء سليمان وقال له: ما الحكم في هذه القضية؟

فقال سليمان: أجلسني على الكرسي، وضع التاج فوق رأسي كي أحكم، ففرح داوود بنبوغ ابنه مبكرًا وأجلسه على الكرسي ووضع عليه التاج، وأمر سليمان بإحضار أصحاب الغنم وأصحاب الحديقة، وقال: يا أصحاب الغنم تأخذون الحديقة لمدة عام تعملون فيها وتأكلون من ثمارها، وتزرعون فيها من الخضر، وتسلمونها لنا بعد عام، وقال لأصحاب الحديقة: تأخذون الغنم ترعونها، وتأكلون من أولادها، وألبانها، وتجزون أصوافها، وتسلمونها لنا بعد عام بنفس العدد الأول، فخرج الطرفان في رضا وقبول لهذا الحكم.

وهنا قال داوود لسليمان: بارك الله فيك يا بني، انزل من على كرسي العرش وعد إلى أقرانك - زملائك - فقال سليمان: بل اذهب أنت يا أبي إلى محرابك وتمتع بمناجاتك لربك، فالله جعل الإنسان خليفة في الأرض ليقوم بشؤونها، فإذا ما ترك ذلك وتفرغ للعبادة عزله من الحكم ومن تلك الخلافة، ومتعه بالعبادة، وهنا بدأ ملك سليمان والقصة كاملة في سورة الأنبياء في الآيات من الآية ٧٨ إلى الآية ٨٢.

﴿ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ إِذۡ يَحۡكُمَانِ فِي ٱلۡحَرۡثِ إِذۡ نَفَشَتۡ فِيهِ غَنَمُ ٱلۡقَوۡمِ وَكُنَّا لِحُكۡمِهِمۡ شَٰهِدِينَ ﴾ (الأنبياء: ٧٨، ٧٩)، وندغ القات أو البانجو وكلما أرادوا ملأ باعوا من الغنم، وكلما أرادوا طعامًا ذبحوا من الغنم، أما حكم سليمان فإنه جعل الجميع يعمل، وجعل أصحاب الغنم يقدرون ما يأخذه الزرع من جهد، وأصحاب الحديقة يقدرون صعوبة الرعي بالغنم ويعذرون أصحابها.

هذه هي قصة داوود أسس الدولة بقوة وفتوة لكنه كان يجنح إلى العبادة والتسبيح الذي ردده خلفه الطير في السماء والجبال على الأرض وأُلين له الحديد، وكانت مشكلته حبه الزائد لله تعالى، فماذا قال فيه بعض المفسرين؟

قال ابن جرير الطبري: يُرْوَى في غير موضع وأكثر من رواية في دخول الخصم على داوود في المحراب يقول: كان داوود في المحراب فتمثل له الشيطان حمامة من ذهب، وقعت أمامه فأراد أن يمسكها، فانتقلت إلى شباك المحراب فذهب إليها فطارت من الشباك فشيعها بنظره يتابعها فوجد امرأة تغتسل عارية وكانت جميلة للغاية، فلما عرفت أنه ينظر إليها غطت جسدها بشعرها فزادها ذلك جمالا فسأل عنها فعرف أن لها زوجًا يحارب مع الجيش فأرسل إلى قائده، وقال له: ابعثه وحده في سرية، وأرسله إلى أشد الأعداء، وذهب الرجل، وفي البلد الأولى انتصر وكذلك في الثانية، ومات في الثالثة، فتزوج داوود امرأته وأكمل بها المائة، وهنا أرسل الله إليه الملكين في المحراب [ابن جرير الطبري، جد، ص ١٧٤وما بعدها] طبعة دار الفكر بيروت ١٩٩٥م.

هذه الأسطورة السوداء ألصقها ابن جرير الطبري بسيدنا داوود عليه السلام، ونقلها عنه معظم المفسرين الذين ينقلون ما لا يعقلون، ولكن للحق هناك بعض المفسرين رفض هذه الأسطورة التوراتية، وهذه الخرافات الشيطانية وخاصة المحدثون منهم، إلا أن هذا التخريف والتحريف هو الذي ساد في عالمنا العربي وعلى أيد بعض من يدعون العلم، وهم مصابون بالتحريف والتخريف.

ولم يتزوج نبي الله داوود إلا من امرأتين أولهما كانت لا تنجب، والأخرى أنجبت له سيدنا سليمان وإخوته، وكان الرجل مشغولا بتطوير الدولة، ولما كبر انشغل بربه، ولكنها مؤامرة أن يقوم بعض الناس باختلاق الأكاذيب لصرف الأمة عن العمل الدؤوب، والعبادة الجميلة التي تصل إلى الانقطاع للمعبود سبحانه وتعالى، والحديث عن داوود الفاعل، وداوود البطل لا يروق للكسالى والمتسولين، وإذا كنا نشهد الآن غروب شمس الأمة، فإن ضحاها كان طيبًا ومشرقًا، لكن ظهيرتها كانت مظلمة لدرجة أنها جعلت الناس يشعرون بالغروب قبل وقته بألف عام.

***

أيوب عليه السلام

في عقيدة المسلمين أن الأنبياء لا يمرضون بأمراض منفرة، مثل الأمراض الجلدية والخراريج، والتقيحات، لأن هذه أمراض تنفر منهم الناس، ونبي الله أيوب عليه السلام كان رجلا ثريًّا، جميلًا، عذب الحديث ولكنه كان يعاني من آلام تقع بين اللحم والعظم، وكان أحيانًا يشعر بها وهو يلقي الدرس للناس، واتجه إلى ربه طالبًا أن يشفيه من المرض، ولأن المرض ليس تقيحًا، ولا ورمًا، فإنه عبر عنه بصيغة المس قال عليه السلام: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ (الأنبياء: ٨٣).

ثم قال: ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾ (ص: ٤١).

يلاحظ القارئ الكريم استخدام أيوب للمس في المرتين:

الأولى: أني مسني الضر وهذا أدب جميل، وتعبير مهذب حيث نسب المس للضر، لم ينسبه إلى الله تعالى: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ (الشعراء: ٨٠).

الثانية أنه قال: ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾ (ص: ٤١)، وهذا لأن الشيطان كان يحاول أن يقطع عليه صبره، ويقول له: إذا كنت نبيًّا والله يحبك، فلماذا لا يشفيك من مرضك، ولم يكن يسمع له، لأن الشيطان لا تأثير له على الأنبياء لأنهم من ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ (يوسف: ٢٤)، والشيطان نفسه قال: ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ (الحجر: ٤٠)، فكانت شكوى أيوب من شماتة الشيطان، وليس من تأثير كلماته.

والمس في اللغة أقل من المرض وأحيانًا يكون غير مضر على الإطلاق. قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا۟ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۚ ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (المجادلة: ٣).

فالمس هنا بمعنى الجماع، وهو ممتع للرجل والمرأة.

وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ ۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ ۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ (البقرة: ٢٧٥).

ومس الشيطان أن يكون الإنسان غير طبيعي في تصريحاته، وليس جرحًا وتقيحًا، ولا ورمًا، وقال تعالى: ﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُواْ بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ (عمران: ١٢٠). وهنا الحسنة أيضًا تمس.

نخلص من هذا أن المس هو أنواع المرض، وليس له ظهور في الجسد بتقرحات أو ورم، وهذا ما اتفق عليه معظم المفسرين جاءت رواية في تفسير ابن جرير الطبري، مفادها: أن نبي الله أيوب مرض مرضًا شديدًا حتى نام في الفراش، وكانت امرأته تتسول عليه، وكان الرجال يراودونها عن نفسها، وكانت ترفض بشدة أن تتركه وتتزوج غيره، إلى أن أحد الأثرياء طلب منها إن لم تخضع له فعليها إذا أرادت طعامًا للمريض، أن تتركه يقص شعرها من جذوره، وكان شعرها طويلًا وجميلًا يضفي على جمالها الطبيعي رونقًا وبهاءً لا حدود له، واستسلمت له وقام بقص شعرها من جذوره.

وظل أيوب نائمًا حتى تقيح جسده وازداد بالورم، وبدء الدود يأكل من جسده وهو حي، وكلما همت دودة بالانصراف، كان يردها ويقول لها كلي رزقك، وظل على هذا الحال، حتى أخذه أهل القرية والقوة في مزبلة، وبعد ذلك أكرمه الله تعالى: أن يضرب الأرض برجليه فخرج الماء، واغتسل وشُفي من المرض ...

هذه القصة كذب في كذب، وهي منقولة نصًا من التوراة، وقد نقلها ابن كثير عن ابن جرير الطبري، وهذا الرجل أنا في حيرة من بواعثه وأهدافه في وضع تفسير، يحتوي على كل النقائص التي نُسبت للاسلام فيما بعد عن طريق المستشرقين والمبشرين، وكان له أسلوب ذكي للغاية في كتابة التفسير فهو يأتي بالخبر الكاذب المخادع، ثم يقول:

أنا لا أوافق عليه، وسوف نتحدث عن أخباره في هذه السلسلة بعد ذلك، لكن ما يهمني أن أقول أن الفنان الموسيقي زكريا الحجاوي، قام بنقل هذه الرواية عن ابن كثير وقام بعمل أوبرت خلار (ملحمة) اسمها أيوب المصري، إلا أنه كان أكثر حرصا من ابن كثير، فابن كثير وجرير يقولان أن أهل القرية ألقوا أيوب عليه السلام في المزبلة، وزكريا الحجاوي لم يذكر ذلك، وغض الطرف عنه.

وهذه الرواية الكاذبة التي لا أصل لها، رفضها معظم المفسرين رفضًا قاطعًا، إلا أن الأئمة على المنابر والأساتذة في الجامعات لا يزالون يكررونها، في المحاضرات وفي الخطب المنبرية وهذا هجر للقرآن الكريم، وفهم لدلالته سيء عقيم، فأيوب عليه السلام لم يتعرض للورم والتقيح والدود، ولكن كل ذلك موجود في رأس من يقول ذلك، لقد عاش ثريًّا جميلًا فائقًا، وكان الألم بداخله لا يظهر لأحد، كما تؤسس لذلك عقيدة الإسلام.

ومن هنا تعرف أن أناسًا لبسوا لباس الإسلام، وتحدثوا بلغته، وكان هدفهم هو هدمه، وإدخال الأساطير في تفسير كتابه المعجز، وفي الانتقاص من مكانة الأنبياء والرسل.

يقول الله تعالى: ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَث أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (الأعراف: ١٧٥، ١٧٦).

كذا النوع من العلماء خبال ووبال على كل دين.

***

علم الساعة

من العقائد الثابتة في القرآن الكريم اعتبار علم قيام الساعة علمًا خاصًّا بالحق سبحانه وتعالى، ولا يطلع عليه أحد؛ سواء كان ملكًا، أو رسولًا، وفي هذا حكمة أن يعمل الناس بكل جهد دون أن يعرفوا موعدا لنهاية العالم. فيقول الله تعالى:

أ- ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ (لقمان: ٣٤).

ب- ويقول: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (الأعراف: ١٨٧).

يُلاحظ على هذه الآية ما يلي: إن علم الساعة عند الله ولا يجليها لوقتها إلا هو - أي بداياتها وإظهارها لا يكون إلا لله ولا يستطيع أحد أن يعطي علامات لها مهما كان شأنه. ويقول لرسوله (ﷺ) ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (الأعراف: ١٨٧). أي أنت لا تعرف عنها أي شيء، وليس في إمكانك أن تفعل ذلك.

ج- ثم تعقب هذه الآية آية أخرى تبين أن النبي لا يعلم الغيب، ولو كان يعلمه ما تعرض لكثير من الأذى، والسوء ﴿ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (الأعراف: ١٨٨).

ويقول الله تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَآ

أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا ﴿٤٥﴾ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾ ﴾ (النازعات: ٤٢-٤٦).

والآيات واضحة لا تحتاج إلى شرح، لكن يستلفت النظر قول الله تعالى لرسوله الكريم (ﷺ) ﴿فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ﴾ (النازعات: ٤٣). أي أنه ينهاه عن الحديث عن الساعة لأنها خارجة عن نطاق قدرته ومهمته، وقول الله تعالى: ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ﴾ (النازعات: ٤٤)، أي علمها ينتهي إلى الله تعالى وليس لأحد غيره. ولا تتحدث في هذا الموضوع وإذا سألك أحد، فقل: "إن علمها عند ربي".

د- ويقول الله تعالى: ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً ۖ فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا ۚ فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَىٰهُمْ﴾ (محمد: ١٨). وأن تأتيهم بغتة معناه: أن إتيانها يكون بغتة، لأن "أن تأتيهم" مصدر مفعوول من أن والفعل المضارع.

و- ويقول الله تعالى: ﴿بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ﴾ (القمر: ٤٦)، فعقيدة القرآن الكريم بالنسبة للساعة تتحدد فيما يلي:

١- إن علم الساعة ملك خاص لله تعالى لا يشاركه فيه أحد.

٢- لما سأل المشركون الرسول (ﷺ) عن الساعة، كان الجواب، ﴿فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ﴾، أي أنها أكبر منك، ومن أن تعرفها لأن هذا موضوع خطير ومعرفته بالنسبة لك أمر مستحيل.

٣- إن الله تعالى هو الذي يظهر الساعة: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الأعراف: ١٨٧).

٤- إن محاولة البحث عن علامات للساعة، فهي خبط عشواء في ظلام الصحراء من غير زاد ولا ماء.

٥- إن محاولة وضع علامات حاسمة للساعة يُعَد اعتداء على علم الله وعلى القرآن الكريم، وعلى مهمة النبي الكريم (ﷺ) المحددة في القرآن: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا﴾ (النازعات: ٤٥).

١- إن الساعة غيب ولا يملك كائنا من كان وضع علامات لها.

إن علامات الساعة المزعومة، تصرف الجماهير عن مقاومة أعداء الأمة - لأن الساعة قادمة - وتصرفهم عن العمل والاختراع والابتكار، وعن الزراعة، وعن عمل كل شيء مفيد في الحياة.

إنني أناشد علماءنا الأجلاء من علماء الحديث خاصة الشباب منهم بإعادة النظر في الأحاديث التي ترد القرآن الكريم، وتهدم عقائده وهم أقدر الناس على ذلك، وأرجو أن يوفقهم الله في هذه المهمة، وأقول لهم: إن صحة السند لا تلازم بينها وبين صحة المتن، وهذا ما تعلمناه منكم، ومن علماء الحديث القدامى.

إن القرآن الكريم أصبح غريبا في أمته بسبب مرويات كُتبت بعده بـ (٢٥٠) مائتين وخمسين عاما من نزول القرآن الكريم، ومضت الأمة على هذه المرويات، وتركت القرآن الذي كان يتنزل ويُكْتَب في نفس الساعة، وعن طريق ستة من الكتبة المحترمين المخلصين الذين اختارهم رسول الله (ﷺ) على علم.

وفي النهاية الساعة غيب؛ لا تأتي إلا بغتة وليس لها علامة تنبئ عنها، ويرى الإمام محمد عبده في بحث أُجْرِي عن طريق جريدة الدستور "أن كل ما يخالف عقائد القرآن من الأمور الشعبية التي لا تستند على علم صحيح لأنها ترد القرآن، وهو الأساس الصحيح الوحيد".

وقد جاء هذا في تحقيقي لمجلة الدستور بتاريخ(١٩٩٧/١/٨م)، وذكر الإمام أيضا رفض فكرة بقاء المسيح حيًّا، ونزول المسيخ الدجال، وسوف نقوم بدراسة هذه الأمور إن شاء الله تعالى.

ملحوظة

كل حديث لرسول الله (ﷺ) تاج على رؤوسنا إذا لم يعارض آية أو أكثر في القرآن الكريم؛ فإذا عارض سقط متنًا وإن صح سندًا، لأن تركيب متن فاسد على سند صحيح أمر غاية في البساطة في أثناء الطبع، وهذا ما أحدث هذا الاضطراب في بعض أحاديث السنة الشريفة.

المعنى الحقيقي لآية ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ ... ﴾

في يوم من أيام الصيف شديدة الحرارة اجتمع الفلاحون في قريتنا تحت شجرة الجميز الكبيرة؛ يستريحون من العمل، ويتقون الحر، ويأكلون من ثمار الجميزة إذا شعروا بالجوع.

كانت هذه الجلسة تتكرر يوميًّا، وكنت أحضرها مع أقراني من الأطفال، وفي يوم مر على المكان الشيخ حمزة - طالب في الأزهر - على المجاورين الذين يأكلون وينامون على نفقة الأزهر- وكان في أجازة - فألقى السلام على الحاضرين تحت الجميزة، فردوا عليه مهللين مرحبين، وأجلسوه بينهم في احترام شديد، وكنا نحن أطفال الكتاب نتعجل اليوم الذي نصبح فيه مثله.

المهم؛ بدأ الكلام وبدأ الناس يسألون الشيخ حمزة في كل شيء يتعلق بالدين، والدنيا معًا باعتباره يعرف كل شيء، هكذا كان الفلاحون ينظرون إلى الشخص المتعلم.

وفجأة سأل عباس القصير الشيخ حمزة عدة أسئلة كانت كأنها طلقات مدفع أُعِدت قبل ذلك. عباس: يا شيخ حمزة عمك الحاج محمود لا يصلي الفجر هو وأولاده وزراعتهم لا تصلح وأرضهم بائرة وهم فقراء.

الشيخ حمزة: يا عم عباس هذا مكتوب من الأزل، والرزق لا يزيد ولا ينقص، يقول الله تعالى: ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ (التوبة: ٥١).

عباس: يا شيخ حمزة عمك علي سمك ترك جاموسته مربوطة في الحر، فدارت على رباطها، فماتت مخنوقة، فما رأيك؟

الشيخ حمزة: يا عم عباس دا نصيب وكان لازم تموت الجاموسة في هذا اليوم، وفي هذه الساعة، وفي هذه الدقيقة، بل وفي هذه الثانية فصاح الحضور: الله أكبر.. الله أكبر..

الله أكبر ... واستمر الشيخ حمزة لأن هذا مكتوب: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ (التوبة: ٥١).

فقال عباس في غيظ: يعني علي سمك لم يهمل، ولم يرتكب جريمة في حق جاموسته.

فقال الشيخ حمزة: مهمل ولا غير مهمل، كانت هتموت هتموت.

قال عباس: أنت يا شيخ حمزة مجتهد، وتنجح كل عام، لأنك تذاكر وتصلي وزميلك خميس بعرور، لا يذاكر ولا نراه يصلي، ويرسب في كل عام، فهمني ماذا تعمل وماذا يعمل؟

قال الشيخ حمزة: يا عم عباس، لا عملي له دخل في نجاحي، ولا عمله له دخل في سقوطه، إنما هو المقدر والمكتوب: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ (التوبة: ٥١).

قال عباس: يعني ده العلم إلى اتعلمته في الأزهر؟

قال الشيخ حمزة: نعم تعلمنا أن كل شيء مكتوب.

قال عباس: أنا سمعت من المغنواتي في فرح ابن الحاج سالم، إن اللي مكتوب على الجبين لازم تشوفه العين.

قال الشيخ حمزة: هذا لا شك فيه.

قال عباس: علي النعمة لن أستيقظ مبكرا، ولن أضيع صحتي في الشغل في الأرض طالما إن كل شيء مكتوب، وإحنا عايشين زي الغنم، مالناش أي لازمة.

- انشغلت بهذه الآية منذ طفولتي المبكرة، ودارت الأيام، ودرت معها، إلى أن وجدتني ذات ليلة، وأنا أحمل السلاح للحراسة في موقع حربي، على قمة جبل من جبال مدينة أسوان في أقصى جنوب مصر، وكان القمر ينساب بضوئه الفضي على صفحة نهر النيل، وأجمل ما في الدنيا أن تكون في صحراء تنظر إلى أعلى فتجد القمر، وتنظر إلى أسفل فتجد الماء والقمر مستقر على وجه الماء، وهنا تحل علي فرصة للتفكر في عظمة الخالق

سبحانه وتعالى، وأنا في غمرة التفكير تداعت إلى عقلي ذكرياتي في القرية، وفيها الجلسة التي كانت مع الشيخ حمزة تحت الجميزة.

وقلت في نفسي: لا يمكن أن يكون هذا الكلام صحيحا، أقصد فهم الشيخ حمزة للقرآن الكريم، إن الشيخ حمزة يبين أن دور الإنسان في الدنيا لا قيمة له، وكنا وقتها نجهز لحرب العبور والنصر.

وقلت: لو أخذ الجيش المصري برأي الشيخ حمزة لضاعت سيناء إلى الأبد، وبدأت رحلة القراءة والبحث حول هذه الآية بعد خروجي من الجيش بحصيلة ثقافية لا بأس بها، وانتظمت في الدراسة في الأزهر، ووجدت أن الشيخ حمزة كان مظلوما، فكل ما يُقَدم من علم خاصة: (في القضاء والقدر) يدور حول هذه النقطة: المكتوب.

في عام ١٩٨٥م وأنا أعمل في رسالة الماجستير وكنت أسكن في مدينة القاهرة، قال لي أحد رواد المكتبة التي كنت أعمل بها، إنني سأطلق زوجتي.

قلت له: لماذا؟

قال: تيقنت من خيانتها لي، وطلب مني التدخل لإنهاء الجانب الشرعي، وعندما جلست مع الزوجة وأختها أخبرتني بأنها لا تريد الطلاق من أجل الأولاد.

فقلت لها: إنه يتهمك بالخيانة فهل حدث ذلك فعلا؟

فقالت: يا مولانا: هذا حدث، ولكنه مقدر ومكتوب على الجبين، وأنت تعرف الآية.

قلت لها: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ (التوبة: ٥١).

قالت: نعم.

قلت: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وفي عام ١٩٩٥م كنت أتناقش مع أحد المحسوبين على العلم في القضاء والقدر، فقال لي: الخلاصة أن الله يعلم بذنب العبد، ويكتبه عليه، ويريده، ويجعل العبد يفعله.

قلت له: وكيف يعاقب العبد على الذنب؟

قال: الله يفعل ما يشاء.

قلت: ما اسم هذا المذهب؟

قال: هذا مذهب علمي عليه أغلب الأمة.

قلت: وما الفرق بينه وبين مذهب المشركين في مكة، حين اجتمعوا وقالوا: إن محمدًا يقول عن ربه: إن كل شيء يتم بمشيئة، ولا يحدث شيء من غير هذه المشيئة، ونحن سنجمع الناس ونسأل محمدا أمامهم، ونقول له: لو شاء الله ما أشركنا، وهذا هو المذهب الذي ندافع عنه، ويقيد حركة المسلمين في الفلاح والنجاح، ولما أجمع المشركون على ذلك أمر الله تعالى الأمين جبريل بالنزول بقرآن على النبي (ﷺ) لحل هذه المعضلة: ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكۡنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمۡنَا مِن شَيۡءٖۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأۡسَنَاۗ قُلۡ هَلۡ عِندَكُم مِّنۡ عِلۡمٖ فَتُخۡرِجُوهُ لَنَآۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَخۡرُصُونَ﴾ (الأنعام: ١٤٨)، فلو قسمنا الآية لوجدنا ما يلي:

× دعوى المشركين: لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حُرمنا من شيء - نفس المذهب الذي درسه الشيخ حمزة.

× وصف الله تعالى لهذا القول: ﴿كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾؛ أي كل أمة في التاريخ كذبت بسبب هذه الدعوى الباطلة.

× وصية الله للرسول: ﴿قُلۡ هَلۡ عِندَكُم مِّنۡ عِلۡمٖ فَتُخۡرِجُوهُ لَنَآۖ﴾؛ هل لديكم ورقة مكتوبة توضح أن هذا مكتوب عليكم.

× وصف الله تعالى لحال المشركين ومن على طريقتهم: ﴿إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَخۡرُصُونَ﴾.

قلت لمحدثي: إننا يجب أن نؤمن بعلم الله الأزلي الأبدي، وبقدرته وإدارته وبمشيئته، إيمانا كاملا، ولكننا في ذات الوقت يجب أن نؤمن بأننا لا نعلم من علم الله شيئا، وهذا

يدفعنا للعمل بجد ودأب وإرادة حرة حتى نقوم بواجب الخلافة، أما القول بأن هذا مكتوب وهذا غير مكتوب (وهذا غير مكتوبه فهو نوع من اتباع الظن والتخريص، و(التخريص) في اللغة معناه الكلام بدون دليل، وباللغة الدارجة معناه الاستهبال والاستعباط.

نعود إلى الآية الكريمة: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ (التوبة: ٥١). هذه الآية تقع في ربع [ولو أرادوا الخروج] ومن أول الربع والحديث عن المنافقين وكراهيتهم للمسلمين وتمني الفشل لهم، وأرجوا أن يرجع القارئ إلى الآيات في سورة التوبة من ٤٦ إلى ٥٩؛ حتى يقف على حقد المنافقين، لكن في الآية السابقة: ﴿إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ ۖ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا۟ قَدْ أَخَذْنَآ أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّوا۟ وَّهُمْ فَرِحُونَ﴾ (التوبة: ٥٠).

ويقول للرسول (ﷺ) رد عليهم وقل لهم: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا﴾ وكتب لنا لا علاقة لها بكُتب علينا، لأن الله كتب للمؤمنين النصر أو الشهادة ويأتي التعبير الجميل بعد ذلك: ﴿هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ﴾: هو حبيبنا، هو المسؤول عنا، هو أقرب إلينا من أنفسنا، وسيعطينا جائزة من اثنتين أقرهما لنا، النصر والعزة والغنائم، أو الجنة بكل ما فيها من خيرات، ويوضح ذلك في الآية التي تعقب هذه الآية، وهي تبين الصلابة والتحدي والقوة، والاندفاع نحو الهدف بدون عوائق.

يقول الله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ ۖ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ أَوْ بِأَيْدِينَا ۖ فَتَرَبَّصُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ﴾ (التوبة: ٥٢). والمعنى أنكم أنتم أيها المنافقون تتربصون لنا وتنتظرون أن يحدث لنا أمر من اثنين: النصر أو الشهادة، ونحن نتربص بكم وننتظر وقوع البلاء والعذاب عليكم من الله تعالى، وإذا لم يحدث هذا فسوف نقوم نحن بتأديبكم وتعذيبكم بأيدينا لأننا أحرار من كل قيد، وسوف ينالكم عذابنا، إن لم ينالكم عذاب الله تعالى.

فأنت أيها القارئ الكريم تدرك أن هذه الآية: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ

لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ ﴾ (التوبة: ٥١) لا تقيد أو تكبل حركة المسلمين؛ بل تطلقها حرة عفية قادرة قاهرة لأقصى درجة يمكن تصورها. وترى أن المسلمين كانوا لا يدعون على أعدائهم كما نفعل الآن، ومنذ عام النكبة ١٩٤٨م إلى الآن ولا يقولون لهم إن الله سيعذبكم بل يقولون إن لم يعذبكم الله فسوف نعذبكم نحن. وماذا جنينا من كثرة الدعاء - بلا عمل - إلا المذلة والهوان والعار لأكثر من ستين عامًا.

والخلاصة أن هذه الآية ليست قيدًا على حرية المسلمين، ولكنها آية دافعة رافعة نافعة.

يقول الشاعر أحمد شوقي:

وعلمنا إله العرش كيـــف أخذنا غمرة الأرض اغتصابا

وما نيل المطالب بالتمنـــي ولكن تُؤْخَذ الدنيا غلابـــا

***

النحلة

في إحصاء لمنظمة العمل الدولية عن عدد ساعات العمل التي تُؤدى في كل دولة من دول العالم المتقدم، والمتخلف على السواء، كانت النتيجة كما يلي:

١- **العمال والموظفون في أوروبا**، يعملون (٩) تسع ساعات في اليوم عملا متقنا متصلا، لا يتكاسل فيه العامل دقيقة واحدة، والعمل يتم على فترتين: صباحية ومسائية، بينهما ساعة واحدة للراحة وبعد ذلك يبدأ العمل.

٢- **العمال والموظفون في أمريكا** يعملون بالشروط السابقة (١٢) اثنتا عشرة ساعة.

٣- **العمال والموظفون في اليابان** يعملون (١٤) أربعة عشرة ساعة يتوسطها ساعة للراحة.

ولما ظهر هذا الإحصاء قال رئيس وزراء اليابان إن عمال وموظفي أوروبا وأمريكا كسالى ولا يصلون لمستوى عمال وموظفي اليابان، وحدثت أزمة سياسية اضطر على إثرها رئيس وزراء اليابان أن يعتذر لأمريكا وأوروبا، ويقول كنت أقصد أنهم يتمتعون بالحياة أكثر، وانتهت الأزمة.

٤- **في الصين** يعمل الموظف (١٢) اثنتا عشر ساعة، ولكنه عند الضرورة يصل إلى (١٦) ست عشر ساعة في اليوم، وهذه خاصية للصين وكوريا الجنوبية.

٥- **في العالم العربي:**

أ- في دول الخليج ساعات العمل صفر.

ب- في مصر وسوريا ولبنان ودول المغرب العامل والموظف يعملان ٢٧ دقيقة في اليوم.

× يتم حساب هذا الإحصاء على أساس نسبة عدد الموظفين والعمال في هذه الدول إلى نسبة الإنتاج.

- ففي مصر مثلا هناك عمال في بعض الشركات والمطاعم والمقاهي يعملون أكثر من عشر ساعات في اليوم، لكن في المقابل تجد الآلاف لا يعملون على الإطلاق، وهكذا تحسب النسبة.

قرأت التقرير وقلت يا إلهي إن الوحدة العربية لم تتحقق أبدا في العصر الحديث إلا في وحدة الكسل والقعود والخمول مع أن القرآن الكريم يقول عنه العلماء (الغير مسلمين طبعا) إنه الكتاب الوحيد الذي يحض على العمل وبناء الحضارة.

وسوف نأخذ آيتين من كتاب الله لعلهما يوضحان ذلك.

يقول الله تعالى: ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾ (النحل: ٦٨، ٦٩).

١- يكلف الله تعالى النحل - الضعيف المخلوق الصغير - بأن يبني لنفسه بيوتا في الجبال على الصخر وفي حر وبرد الصحراء، فإن لم يجد جبلا، فعليه أن يبني بيوتا في الأشجار، ويتعرض للرياح والعواصف، وليس له الحق في الاعتذار، فإذا لم يجد شجرا فليبني على حواف بيوت الناس، مع إيذاء الناس له، وقد يكونون مثلنا لا يعملون ولا يحبون العمل.

فالنحلة مكلفة ببناء بيت محكم [للعسل] لم يصل العلم الحديث إلى فهم دقته حتى الآن، وفي أسوأ الظروف يتم بناء هذا البيت.

٢- يطلب الله تعالى من هذا المخلوق الضعيف أن يبحث عن جمع الرحيق - الذي يتكون منه العسل - من كل زهور الثمرات، فإذا لم يجد نوعا منها، رحل إلى أي مكان آخر للحصول على هذا الرحيق، ولذلك يقول العلماء في هذا الشأن: إن النحلة الواحدة أو مجموعة من النحل تحصل أو يحصلن على الكيلو جرام الواحد من العسل عن طريق الطيران لمسافة (١٨٠٠٠) ثمانية عشر ألف كيلو متر تقطعها نحلة أو يقطعها النحل

مجتمعا. ومع هذه التكليفات الشديدة، لم يكسل النحل يوما أو يهمل، أو يعصي هذه الأوامر، بل يؤدي ما كلف به بدقة تفوق دقة الساعة (الكوارتز).

المهم أن هذه الآيات لم تأتي لإخبارنا عن معجزة عسل النحل، لأنها معجزة مشاهدة يقر بها كل إنسان مسلم أو غير مسلم، ولكن الله تعالى ساق لنا هذه الآيات ليحرك قوة العمل والإنتاج فينا، ويصرفنا عن الكسل والخمول، ويقول لنا إذا كانت هذه النحلة الضعيفة تنجز هذه الأعمال، فما حال البشر الذين يعيشون في صحة جيدة، لماذا يضيعون وقتهم بلا عمل، وحياتهم محسوبة عليهم بالثانية، وبكل دقة قلب.

وعندما رجعت إلى كثير من التفاسير وجدت أن السادة المفسرين قد انشغلوا بالعسل وبما فيه من شفاء وهذا حق لا مراء فيه ولكنهم لم يلتفتوا إلى ضرورة العمل التي يحض عليها القرآن الكريم، وربما نجد لهم عذرا في ذلك، لأن الحياة كانت بسيطة وسهلة، ولم يكن العمل ملحا فيها مثل هذه الأيام.

إن من ينظر إلى نهاية الآية الثانية وهي قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (النحل: ٦٩)؛ فوجود الشفاء في العسل أمر معروف من أيام قدماء المصريين، ولقد وجد العسل في قبورهم، وما زال بحالة جيدة حتى الآن، وفي كل الحضارات القديمة كان هذا معروفا، وهو شفاء لكل البشر منذ آدم عليه السلام حتى الآن. ولكن القرآن الكريم لا يطلب منا التفكير فيما هو معروف، بل يطلب منا التفكير في التكليفات التي كُلِّف بها النحل، ويحثنا من خلال عرضها في القرآن على العمل مهما كانت الظروف، قاسية أو طبيعية.

إنني أتعجب من الآتي:

أ- من موظف يذهب إلى عمله ويوقع بالحضور، ثم ينصرف ليتسكع في الشوارع والجلوس على المقاهي، ويأتي في نهاية يومه إلى بيته يشاهد التلفاز حتى ينام وفي الصباح

يتناول عسل النحل ولا يفكر في الجهد الذي بذله النحل، لكي يصل إليه هذا العسل.

ب- والمرأة الغنية زوجة أحد اللصوص الكبار والصغار، تنام وتمد رجليها حتى تقوم فتاة بتقليم أظافرها، وهذه المرأة لا عمل لها، لأن زوجها أخذ من الدولة عدد (٢٠٠٠) ألفي فدان على أحد الطرق سعر الفدان (٥٠) جنيه تسدد على خمسين عاما ويباع مساكن بسعر بين (١٠ مليون) و(٢٠ مليون) جنيه، فلماذا تعمل هي وأولادها من هذا اللص؟ وهذه الأمثلة كثيرة ومثيرة للقيء والخبل العقلي.

إن العمل هو سر وجود الحياة والأمة التي تكره العمل هي أمة تبحث عن الفناء ...

وما نيل المطالب بالتمني ولكن تُؤْخَذ الدنيا غلابا

***

الفهم بالأمريكاني

في التسعينيات من القرن الماضي دُعِيت لمؤتمر في أحد المراكز الإسلامية بإحدى الولايات بأمريكا، وكان اتفاق المنظمين لهذا الموتمر معي هو أن أقضي أول الليل في المؤتمر، وأن أمر على المدارس الإسلامية في الولاية بالنهار لدراسة الحالة المادية والعلمية لهذه المدارس، ولتقييم المواد التي تُدرس بها.

بالنسبة للمواد الأمريكية وجدت كوارث في الكتب العربية التي تُرْسَل من السعودية ومصر والأردن ولهذا حديث آخر بإذن الله تعالى، نعود إلى المؤتمر الذي أعد له ليقوم في ليال ثلاث، وكان لي محاضرة في كل ليلة بالإضافة إلى محاضرات لبعض العلماء المدعوين لهذا المؤتمر، وما حدث في المؤتمر سوف أقسمه إلى ليلتين:

الليلة الأولى: دخلت مع العلماء إلى قاعة المركز الإسلامي، فوجدت جميع الرجال المدعوين في هذه المنطقة، وهم يزيدون عن ثلاثمائة رجل ومثل عددهم من النساء، أما الأطفال فكانوا يلعبون في الطابق الأعلى من المركز، وكان البرنامج معدًّا بحيث أكون أنا من يلقي المحاضرة الأخيرة، بعنوان (العمل العمراني في القرآن الكريم)، وكان معي اثنان من العلماء الأفذاذ، أحدهم مصري والآخر من دولة الأردن.

وبدأ مقدم الحفل بتقديم العالم الأردني (...) وللحق كان الرجل غزير العلم فصيح اللسان سريع الطلقات، حتى أذهل كل من سمعه، فأنا عن نفسي لم أستطع متابعة هذا السيل الجارف من العلم المحفوظ المكرور، وحصل الرجل على إعجاب الموجودين ومعظمهم من العرب، وتحدث في أكثر من ثلاثين موضوعا لمدة ساعة ونصف من الوقت.

ثم بدأ الأستاذ (...) المصري، وكان ولا يزال محبوبا من الجميع، حديثه عذب فرات، وشكله أجمل من حديثه، وذكاؤه أجمل من شكله وحديثه، وظل يتحدث في كل شيء

والناس لا تمل له حديثا ويطلبون منه المزيد.

وفي ناحية من قاعة المحاضرات كان يجلس أربعة شباب أمريكين، لا يتحدثون العربية، ويلبسون سماعات تنقل إليهم الترجمة أولا بأول، ولكني شعرت بالغيظ من جلستهم، فكلما صاح العرب ابتهاجا بالمتحدث واستحسانا له، نشد هؤلاء الشباب في الاسترخاء حتى كادوا ينامون في أماكنهم.

وعندما أنهى العالم المصري المحبوب والمرغوب حديثه، هلل الجميع وكبروا وصفقت النساء، وكان المؤتمر قد انتهى، وشعرت أنني من الناحية العلمية والعملية لن أجد من يسمعني أو ينصت إلي بعد هاذين الجهبذين، ولكني سلمت أمري إلى الله وقلت كما تعودت في كل شيء في حياتي، لا بد أن أعمل بجد وألقي محاضرتي حتى لو لم يسمعني أحد.

وبالفعل تم تقديمي للمؤتمر، وبدأت في شرح الجانب العمراني في القرآن الكريم، وبعد مرور خمس دقائق قامت النساء وذهبن إلى أطفالهن في الطابق الأعلى، لأنهن لم يجدن حديثا عن دخول الجنة بالمجان، ولا حديثا عن عالم الجان، ولا حديثا ييسر لهن دخول الجنة مهما اقترفن من سيئات، ولكنهن وجدنني أتحدث عن الصناعة والزراعة والقوة العسكرية في القرآن الكريم، وكان ذلك فيما يبدو هو سبب الانصراف، وهو عند الأمة سبب الانحراف.

أما الرجال - جزاهم الله خيرا - فقد جاملوني بالبقاء في المكان، ولكنهم وضعوا أيديهم تحت رؤوسهم علامة على عدم الرضا عن كلامي وأفكاري، إلا أنني لاحظت شيئا غريبا من الأمريكيين الأربعة، لاحظت أنهم كلما تعمقت في الموضوع، وذكرت عناصره وقمت بتحليلها، اعتدلوا وانتبهوا، وبدؤا يسجلون بعض الملاحظات بتركيز شديد، وكان هذا عزاء لي عن هذا الفشل الذي رأيته من الإخوة العرب.

وعندما أنهيت المحاضرة وخرجنا من القاعة، نزلنا إلى الطابق الأسفل والذي أعد

للتسوق لصالح المركز الإسلامي، وبه الماكينة التي تقوم بطبع الشرائط المسجلة لكل محاضر بناء على رغبات أعضاء المركز والحضور، وتباع لكل من يحضر بمبلغ خمس دولارات، ووجدت أن الناس قد طلبوا من الطابع للشرائط (٣٠٠) ثلاثمائة شريط لكل عالم من زملائي، وعندما سألته عن الذين طلبوا طبع شرائطي قال لي: للأسف لم يطلب أحد شريطا لك، وكانت هذه صدمة تُضَاف إلى الصدمات السابقة.

وخرجت من المركز إلى الشارع، ولم يقلل من حزني إلا دعوة وُجِّهت إلى من رجل أعمال مصري متزوج من سيدة أمريكية، دعاني لتناول العشاء بناء على رغبة زوجته، وكانت هي السيدة الوحيدة التي بقيت من النساء لتستمع لي حتى النهاية في قاعة المؤتمر، وعندما عدت إلى المركز شبه حزين، وجدت مدير المركز في انتظاري، وهو طبيب عالمي مشهور، وقال لي: أين ذهبت؟

قلت: مع فلان لتناول العشاء

قال: إني أريد أن أحدثك في شيء هام قلت: لا تتحدث فأنا أعرف كل شيء تريد أن تقوله.

فقال: إنك لم تكن حاضرا، وقت حدوث ما حدث.

قلت: أنا لم أحضر ولكني سبب ما حدث، وكان ظني أن هناك مشكلة "ما" حدثت بسبب عدم إقبال الناس على طبع شرائطي. ثم استدركت وقلت له: أريد منك خدمة.

قال: ما هي؟

قلت: أن تستأذن من عملك وتأخذني بسيارتك إلى مدينة نيويورك، نسير بها بعض الوقت، ثم نعود.

قال لي: الساعة الآن الثانية عشر ليلا، ودرجة الحرارة تحت الصفر بعشرين درجة فهرنهايت.

قلت: والأغرب من هذا أنني أريد منك عبور نهر هدسن من أعلى طابق في جسر جورج واشنطن.

نفذ الرجل ما أردت، وركز هو في القيادة، وحاولت أنا الانشغال بذكر الله تعالى ولكنه فجأة قال لي:

لقد فعلت الليلة شيئا خطيرا.

تجاهلت صوته وحديثه ونظرت إلى مياه النهر من تحتنا وهي تتدفق شفافة رقراقة، والأضواء تنعكس عليها من كل جانب، لتصنع لوحة جميلة تخطف الأبصار، وغابت بين ثنايا هذه اللوحة، حتى كدت أغيب عن الواقع، ولم أستيقظ إلا على صوت الدكتور عاليا:

يا دكتور محمد ركز معي، أقول لك لقد صنعت شيئا خطيرا هذه الليلة.

فالتفت إليه وقلت له: أعرف أنني لم أُوَفق في محاضرتي وتسببت للمركز في خسارة لم أكن أتمناها أبدا.

قال: تقصد الإخوة العرب والمسلمين!

قلت: ومن غيرهم؟

قال: هؤلاء لا يسمعون إلا ما تعودوا على سماعه، ولم تؤثر فيهم الحياة الأمريكية القائمة على العلم والحضارة.

قلت له: إذن ماذا تريد أن تقول؟!

قال: هل رأيت الشبان الأربعة الأمريكيين الذين كانوا يجلسون في قاعة المؤتمر، ألم تلاحظ عليهم شيئا؟

قلت: لاحظت أنهم كانوا ينامون أثناء حديث العالمين الجليلين السابقين على حديثي، ولكنهم انتبهوا ودونوا ملاحظات وظلوا كذلك حتى انتهيت من محاضرتي.

قال: الذي حدث بعد خروجك من المركز أن هؤلاء الأربعة حضروا إلي وطلبوا إشهار إسلامهم، وطلبوا مني أن يكون الإشهار منجزا، على أن يحصلوا على الشهادة في نفس اليوم، وهذا لا يحدث في أمريكا لأن هذا الأمر يحتاج على الأقل أسبوعا كاملا، ثم طلبوا مني طبع (٥٠٠) خمسمائة شريط من محاضرتك، وأخبروني أنهم يقومون بترجمتها

إلى اللغة الإنجليزية ويوزعونها في أمريكا.

قلت له متعجبا: ولما كل هذا؟

قال: لقد سألتهم نفس السؤال هذا، فقالوا لي: إننا ندرس في جامعة جورج واشنطن بكلية اللاهوت، ندرس نحن الأربعة للحصول على الماجستير في الحضارة الإسلامية، وعلماؤنا من اليهود، والنصارى أخبرونا أنه لا يوجد دين في العالم يحمل في طياته القيم الحضارية إلا الإسلام، ونحن نحاول أن نستمع إلى علماء الإسلام في المؤتمرات، وفي صلاة الجمعة، وفي التلفزيون، فنجدهم جميعا يتحدثون عن العبادات، وعن الغيب، والجنة والنار [الميتافيزيقا] ولكنهم أبدا لا يتحدثون عن الزراعة والصناعة، والقوة، وسيطرة الدولة الإسلامية على العالم كله في يوم من الأيام.

وهنا وقعنا في حيرة: إما أن يكون علماؤنا من اليهود والنصارى لا يفهمون الإسلام: أو أن يكون علماء الإسلام لا يفهمون الإسلام، ويتحدثون بعيدا عن القرآن الكريم والسنة الشريفة، ولما استمعنا الليلة إلى الدكتور محمد أبو زيد الفقي، وجدناه يستخرج عناصر الحضارة من القرآن الكريم مباشرة، وهنا أدركنا أن علماءنا من اليهود والنصارى أكثر فهما للإسلام من علمائه، وأدركنا أن هذا الدين هو كلمة الله الأخيرة للبشرية، فاشتقنا إلى أن نتشرف به قبل أن نرحل عن هذا العالم.

كنا أنا ورفيقي الطبيب العالمي قد دخلنا إلى شوارع نيويورك، وتجولنا فيها، وخفف عني كلامه ما حاك في صدري، وحمدت الله تعالى على هذا التوفيق، وعلى خروج الأمل من رحم اليأس، ولكنه أخبرني أنهم سيحضرون حبرا يهوديا ليلتقي بي غدا - بعد المؤتمر - لسؤالي ومناقشتي في بعض الأمور، وعند الساعة الثالثة صباحا عدنا إلى المركز الإسلامي وانتهت الليلة الأولى، وعندما أدلفت إلى فراشي قلت:

لقد ضيع أدعياء العلم على الأمة فرصة النهوض من كبوتها، بترديدهم الخرافات وتركهم العمل العمراني والحضارة.

***

النوم على المباني ومخاصمة المعاني

فى مقال سابق تحدثت عن زهد العرب المسلمين في الحديث عن الحضارة الإسلامية، وترحيب وإسلام أربعة من شباب الباحثين الأمريكيين، في مؤتمر في إحدى الولايات الأمريكية، وأنهم - أي الأربعة - قد طلبوا من رئيس المركز تحديد موعد في الليلة الثانية لمقابلة أحد الأساتذة من الذين يدرسون لهم الحضارة الإسلامية، التي لا يعرف عنها العرب المعاصرون شيئا، إلا مجموعة من الذكريات الشعرية.

كان الرجل أستاذا في الجامعة، جميل الشكل ظاهر التقى في دينه، مهذبا للغاية في حديثه، يقرأ كل ما تقع عليه يده عن الحضارة الإسلامية، وإنقاذها للعالم من التدهور والتخلف، عرفت من بداية الحديث أنه من طائفة من اليهود يؤمنون بالله الواحد ويعترفون بنبوة سيدنا محمد بن عبد الله نبيا ورسولا، ويقرون بأن القرآن الكريم وحي السماء إلى الحبيب المصطفى (ﷺ).

جلسنا لمدة ثلاث ساعات، أنا والأستاذ اليهودي، وأحد الفلسطينيين القائمين على أمر المؤتمر، في البداية أخبرني أنه قرأ لي كتابين مطبوعين باللغة الإنجليزية؛ الأول: (نظرية المذخورية في الإسلام) - كتاب عن التخطيط للمستقبل عند المسلمين - طُبِع حتى الآن بثلاث عشر لغة آخرها اللغة القرزية، والكتاب الثاني بعنوان (العمل العمراني) - طُبِع حتى الآن بأربع لغات - ثم سألني فجأة: هل يقرأ لك العرب؟

قلت: العرب لا يحبون الحديث عن المستقبل لأن أدعياء العلم عندما بينوا لهم أن المستقبل غيب، ومن يفكر فيه فهو ناقص الإيمان، لأنه لا يؤمن بالقدر، ويجب ترك كل أمور الحياة للصدفة البحتة، ولدينا مثل يقول: "من كان عنده عشاؤه وفكر في فطوره فهو فاسق لأنه لا يثق في رزق الله تعالى"، وهكذا مضت حياة الأمة من بعد القرن السابع الهجري.

قال لي: عجبا إن أوروبا لم تتعلم التفكير في المستقبل إلا بعد فتح الأندلس وأخذوه من القرآن مباشرة ومن سيرة النبي محمد (ﷺ).

قلت: نعم؛ كان الأوائل يفهمون ذلك. ولكن بعد القرن الرابع الهجري تم استبدال الإسلام بالفكر الإسلامي الذي يعكس الواقع المريض، ويترجمه لها باعتباره دينا لا قيما.

وبدأنا في الحديث عن الأربعة شباب الذين أسلموا، وعن فهم علماء اليهود والمسيحية للحضارة الإسلامية.

وقال لي: أنا سعيد بما حدث وأعلم أن الأمر لا يهمنا كيهود من قريب أو من بعيد، بل على العكس أنتم أقرب إلينا من كل أصحاب الأديان في العالم، ولولا الظروف السياسية التي فُرِضت علينا وعليكم في فلسطين لكنا أقرب الناس إلى بعضنا البعض.

قلت له: أنا اعتبركم أذكى وأرقى نوع من البشر، وصدق الله تعالى في كتابه حين قال: ﴿وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ (الدخان: ٣٢).

إلا أنكم في مشكلة فلسطين لستم أذكياء على الإطلاق؛ ففرض الأمر الواقع بالقوة، قد يستمر عشرات السنين، ولكنه غير جدير بالبقاء، وهذا ما حدث من الاتحاد السوفيتي قبل انهياره، فقد احتل اثنا عشرة بلدا مسلما لمدة خمسة وسبعين عاما، ثم تركها في النهاية، وأنتم مقبلون على ذلك إذا لم تحاولوا فهم ما تريدون، وما يريد أعداؤكم.

فأنتم تريدون الحياة الآمنة بعد عناء الاضهاد في معظم دول العالم، والفلسطينيون يريدون العزة والكرامة في وطن حر، ولو تم ذلك للطرفين لانتهى الصراع للأبد، لأن الغرب المسيحي يضرب بعضنا ببعض، حتى ننتهي وتصفوا له الحياة، ويحصل على الطاقة، والموارد العربية من غير عناء، وأنتم في مشكلة فلسطين تشاركوننا في الغفلة وعدم الدراية بما يخبئه المستقبل لنا ولكم.

قال: دع مشكلة فلسطين الآن فعندنا طوائف من اليهود لا يعترفون بدولة إسرائيل، ويعتبرونها مخالفة لما جاء في التوراة. ودعنا نتحدث عن الحضارة العربية، لأني لدي

مشكلة علمية كيف يكون عندكم القرآن، وتعانون من هذا العجز الحضاري الذي لا نظير له في العالم، وعندكم تجربة ناجحة من الناحية (التطبيقية) والعالم كله انتفع بالإسلام في فتح الأندلس.

قلت له: ذكرت لك فيما سبق أننا عشنا بالإسلام قرون ثلاث، ثم بدأ الوضع يتغير، حتى وصلنا إلى ما وصلنا إليه الآن، ولكن حدثني عن المعطيات الحضارية في القرآن من وجهة نظرك.

قال: لديكم آيات في القرآن الكريم تساهم مباشرة في بناء الحضارة وتضيء الطريق لمن يريد أن يعمل، ويتقدم، وسأذكر لك نماذج قليلة أغلبها موجود في كتبك، وأنت تعرفها وقد شرحتها في المحاضرة التي ألقيتها بالأمس.

قلت: هذا تواضع العلماء، ولكني أريد أن أسمع منك. قال: إليك النماذج التالية:

النموذج الأول:

١- يقول الله تعالى في الآيتين: ٣٢، ٣٣ من سورة الكهف: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾ كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا ۙ وَفَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا ﴿٣٣﴾﴾ .

نحن اليهود أخذنا من الآية الأولى طريقة الزراعة المركبة، فلو نظرت إلى اللوحة البديعة التي رسمها القرآن لأفضل أنواع العطاء الإلهي، فإنها تصور لك حقلا مزروعا بالأعناب - أصناف مختلفة - نظام زراعة السلك في العصر الحاضر، وبين أسطر الأعناب وبعضها كل الزراعات من الحبوب والخضروات، ثم زراعة الخط الدائري حول الحقل بأنواع النخيل المختلفة، وفهمنا من الآية أنه لا يجب ترك شبر واحد في الأرض من غير زراعة مثمرة، ومن يفعل ذلك فهو آثم.

ثم انطلق خبراء الزراعة من اليهود في العالم كله يعلمون الناس الزراعات المركبة، وذهب بعضهم إلى منطقة النوبارية عندكم وقاموا بتطوير الزراعة هناك، وحدثني

بعضهم أنه تعاقد مع رجل أعمال على تطوير زراعته، ووجد المزرعة جاهزة بالري بالتنقيط، وبها أشجار فاكهة على مسافات بعيدة، وبعد استسلام عمله طبق هذه الآن وأضاف إلى النقطة التي تنزل تحت شجرة فسيلة طماطم ثم قام بزراعة الفراغات خضروات كما قال القرآن، فزاد ربح المزرعة عشرين ضعفا، وحصل المهندس اليهودي على مكافآت كثيرة زادت عن راتبه في أمريكا (٥) خمسة أضعاف.

٢- أما الآية الثانية: فقد فهمنا منها ﴿كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا﴾ أن القرآن لا يقر إلا زراعة الشجر الذي يثمر طعاما للناس، أما الأشجار التي لا تثمر فزراعتها حرام في الظروف العادية وفي وقت الحاجة للطعام، تكون زراعتها نوعا من الفسق عندكم، وعندنا نوعا من الكفر بنعمة الله تعالى.

النموذج الثاني:

كانت مشكلة اليهود عندما ذهبوا إلى فلسطين في عرفكم والأرض المقدسة في عرفنا، أنهم زرعوا كل شبر حصلوا عليه، ولما أرادوا زراعة صحراء النقب، وحضروا الآبار مياهها لا تصلح للوحتها: ففكروا كثيرا وفي نهاية الأمر اهتدوا إلى آية من القرآن الكريم الأية تقول: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (البقرة: ٢٦٥)، فالوابل - المطر - لا ينزل كثيرا في صحراء النقب وبقي الطل - الشبورة عندكم - وبدأ عمل كثير من الأبحاث على الطل، واهتدى العلماء إلى نوعين من الزراعة على الطل:

النوع الأول:

وضع قرطاس مصنوع من مواد ملساء للغاية ولا تصدأ، غرس هذا القرطاس في الأرض، ووضع حبة فول مثلا بجواره، فهو يجمع لها الطل حتى تنبت ويظل يسقيها حتى الحصاد.

النوع الثاني:

عمل مظلة من البلاستيك على مساحة ألف متر مثلا، وجذبها من الوسط ووضع برميل فارغ تحتها، وفي الصباح يكون الطل قد ملأ البرميل تماما، ويصبح هذا الماء الطيب ملكا لصاحبه، يروي ويزرع ما يشاء.

النموذج الثالث:

جاء في القرآن قول سليمان للعفريت في نقل عرش بلقيس: ﴿قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُ قَالَ هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ (النمل: ٤٠)، ومعنى هذا أن سليمان سيعمل داخل الثانية لأن نزول رمش العين ورده ثانية في تقدير علماء الوقت، وهذه الآية أثارت اهتمام علماء اليهود لأنهم أحرص الناس على الوقت، وهو أثمن من أي شيء في الحياة، وظللنا نبحث ونرصد الأموال لذلك حتى استطاع عالم مصري بعد ١٤٠٠ سنة أن ينجز لنا هذا العمل (نظام العمل داخل الثانية).

وعمل هذا على تقدم العلم التكنولوجي في العالم كله بعد أن قبضنا الثمن أموالا لا حصر لها. قلت: مثل هذه الأشياء التي جعلتكم تقولون لطلابكم: إن الإسلام هو الدين الوحيد الذي يحمل قيما لبناء الحضارة والعمران. قال نعم: ولكن قل لي أنت؛ ماذا فسر علماؤكم من هذه الآيات؟ قلت له: بالنسبة لآيات سورة الكهف اختلفوا اختلافا شديدا في أسماء الرجلين، وفي مكانهما، وزمانهما، والعالم الجهبذ هو الذي اخترع أسماء لهاذين الرجلين.

وبالنسبة لآية (الطل) فلم يعرف عنها علماء الزراعة في ٧٠ كلية للزراعة شيئا حتى الآن، أما موضوع العمل داخل الثانية، فنحن نحاول أن نحضر العفاريت لمساعدتنا، رغم أنهم كانوا سينقلون عرش بلقيس في يوم كامل، لكني أريحك: إذا كان العالم الآن يعمل

(بالفيمتو ثانية) فعندنا في العالم العربي نعمل (بالفيمتو سنة ٣٦٠ يوما) أغلبها كلام في الهاتف المحمول وكله كلام مرذول لا قيمة له.

وعند الساعة الثانية عشر بعد نصف الليل انتهى اللقاء ووضعت يدي في يد الرجل وشكرته على وقته الذي قضاه معنا، وقلت له مداعبا لم أر في حياتي مسلما يفهم القرآن مثلك، فضحك بصوت عال وقال: وأنا الآخر لا أصدق أنك عربي. ليت في العرب من يفهمك؟ قلت هناك أذكياء وأشراف ومحترمون، لكن المشكلة في العدد.

وانتهت الليلة الثانية.

***

حرية التعبير في مواجهة احترام الأديان

حدد القرآن الكريم قاعدة الإيمان العالمية، وترك للإنسان أن يختار الإيمان الكامل أو بعضه أو ترك هذا الإيمان بشرط أن يتحمل نتيجة اختياره في حالة علمه الصحيح بهذا الإيمان ويتحدد ذلك في قوله تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ (البقرة: ٢٨٥)

وفي قوله تعالى: "والمؤمنون" تتحدد عالمية الرسالة الإسلامية لأن (ال) في (المؤمنين) إما أن تكون للجنس فتكون الرسالة الإسلامية متجهة إلى جنس مؤمن، أي متجهة إلى كل إنسان لديه استعداد فطري للايمان وإن كانت "ال" للتعريف فهنا يتجه الخطاب إلى المؤمنين من أهل الكتاب الذين صح إيمانهم بالله وملائكته وكتبه ورسله دون تفريق بين الرسل بأي حال من الأحوال، ويضيف القرآن الكريم بعدًا آخر - في آيات أخرى - هو الإيمان باليوم الآخر، فتصبح قواعد الإيمان خمسة.

إن الحوار بين الأديان ذات الوحي الإلهي يجب أن يتركز على هذه القواعد الخمسة، ويمكن التلاقي عند النقاط المجمع عليها، ومناقشة النقاط المختلف فيها فإذا نظرنا إلى القرآن الكريم وهو أساس العقيدة عند المسلمين نراه يتحدث عن أهل الكتاب أو عن بعضهم كما يتحدث عن المسلمين أنفسهم فهو يذكر الخير لأهله عند الجميع، ثم يوجه اللوم إلى الطائفة الباغية، أو العاصية في كل دين فعلى سبيل المثال القرآن الكريم يتحدث عن بني إسرائيل حديثًا لا يوجد له مثال في التوراة نفسها فهو يقول: ﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ (البقرة: ٤٧).

وإذا كان بعض الناس يعيبون على بني إسرائيل "اليهود" أنهم يدعون أنهم شعب الله

المختار، فالذي نص على ذلك هو القرآن الكريم قال تعالى: ﴿وَلَقَدِ ٱخۡتَرۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ عِلۡمٍ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ (الدخان: ٣٢).

فقد رفع قدرهم بالتفضيل والاختيار، ولكنهم حين يبتعدون عن أصول الوحي الخمسة، تبقى فيهم ميزات حضارية ليست عند غيرهم فهم أرقى في التعامل الإنساني وأذكى في الابتكار والاختراع؛ ذلك تطبيقًا لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدِ ٱخۡتَرۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ عِلۡمٍ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ (الدخان: ٣٢)، أي ميزناهم بما نعلم عنهم على كل الناس.

وهذا يجعل مسؤولية اليهود تجاه الرسالة الإسلامية مسؤولية ضخمة وكبيرة لأن هذا الكتاب (القرآن) لو لم يكن وحيًا ما ذكر هذه المميزات لبني إسرائيل لأن وضعهم في مدينة يثرب كان وضعًا قلقًا ومضربا في كثير من الأحيان، ولكن لأنه وحي إلهي، أعطاهم حقهم كأمة مميزة عن الآخرين ولم يقف عند تصرف البعض منهم والقرآن الكريم من أوله إلى آخره يحمد لبني إسرائيل كل خير يفعلونه، ويلوم عليهم ويذمهم عند كل مخالفة ومعصية، فبني إسرائيل في القرآن الكريم بإجمال أمة رائعة، فيها كثير من الرسالات ولها كثير من الإنجازات والمشكلة التي تضع مسافة في التفاهم بين المسلمين واليهود في العصر الحاضر تنقسم إلى قسمين:

القسم الأول: ديني.

وهو عدم الاعتراف برسالة محمد (ﷺ) وبالقرآن الكتاب الذي ختم الله به وحي السماء إلى البشر وكما ذكرنا سابقًا أعطى لكل ذي حق حقه.

والقسم الثاني: سياسي.

ويتلخص في مشكلة فلسطين، فنحن من واقع التاريخ نعترف بأن اليهود قد عُذِّبوا واضْطُهِدوا في كثير من بلاد العالم بسبب تميزهم وذكائهم، وقدرتهم على حسن التدبير والإدارة، إلا أنه ليس من المقبول أن يدفع شعب واحد هو شعب فلسطين ضريبة ما حدث لليهود في كل مكان في العالم، ويمكن لدولة إسرائيل أن تحل مشاكلها مع الشعب

الفلسطيني إذا أرادت ذلك وسوف يكون في هذا خيرًا كثيرًا للشعب الإسرائيلي والشعب الفلسطيني وكل شعوب المنطقة، وسوف تختصر المسافة البعيدة بين أصحاب الأديان ويصبح التفاهم أقرب وأعمق، كما تحدث القرآن الكريم عن اليهود وشكر لهم خيرهم وذم لهم شرهم، فعل ذلك مع أتباع المسيح عيسى بن مريم عليه السلام.

والذين لايعترفون برسالة الإسلام يقولون ما هو دورها بالنسبة لأهل الكتاب وللرد على هذا التساؤل نقول: إن الأديان السماوية بصفة عامة يعتريها الضعف والاختلاف مع الوقت وآفة هذا الأمر هو الانتقال من الوحي الإلهي إلى الفكر البشري، فالتوراة مثلا ليس فيها ما يردده بعض العلماء، والتركيز على الكتب التي بنيت عليها وكان للفكر البشري مجاله الواسع فيها، والأناجيل مملوءة بالمودة والرحمة لكن كتاب أعمال الرسل يختلف عن الأناجيل شكلا وموضوعًا (ما هو مثال ذلك؟).

ومن هنا جاء القرآن الكريم ليبين للناس عامة الإيمان الصحيح لله تعالى وترك عبادة غير الله تعالى، ويبين لأهل الكتاب ما اختلفوا فيه اختلاف ملة، مثل الخلاف الموجود بين النصارى واليهود في أصل العقيدة، ثم يبين الاختلاف الموجود عند كل أصحاب دين على حده قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۙ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (النحل: ٦٤).

ولفظ "اختلفوا" مكرر في القرآن الكريم في عشر آيات أخرى، ومن هنا نستنتج أن القرآن الكريم لا يلغي الأديان ذات الوحي الإلهي السابقة عليه، ولكنه يصححها ويبين الاختلافات الموجودة، والتي لحقت بها للظروف الحضارية والسياسية ... إلخ.

وقوله تعالى: ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ فهذا للناس كافة.

نرى أن الباب مفتوح لأهل الكتاب للهداية والرحمة إن هم أرادوا ذلك.

إن القرآن الكريم يحمل لأهل الكتاب كما يحمل لغيرهم رغبة شديدة في الخير، وفي

السعادة في الدنيا والآخرة، ولكي ننهي بعض العلاقات السلبية بين المسلمين وأهل الكتاب نطرح على مؤتمركم الكريم اقتراحًا مكونا من ثلاث نقاط:

الأولى: أن يتمم أهل الكتاب إيمانهم بقبول الرسالة الخاتمة رسالة الإسلام.

الثانية: في حالة تعذر ذلك لأسباب كثيرة بعضها غير معروف على وجه اليقين يمكن التلاقي عند الأصول المتفق عليها بين جميع الأديان السماوية، ومناقشة الأصول المختلف فيها مع تقريب وجهات النظر.

الثالثة: في حالة تعذر ذلك أيضا يمكن الالتزام بالاحترام الكامل لكل دين من الثلاثة وإنهاء الصراعات بين علماء هذه الأديان، ومطالبة هؤلاء العلماء بالتركيز على تقوية الإيمان الرأسي أي تعميق الإيمان في وجدان كل مؤمن في الأديان الثلاثة لأن العالم يشهد الأن موجة عارمة من التخلي عن الدين واعتباره تراثًا مقدسًا فقط.

وفي الصفحات التالية سوف العرض بعض الحقائق في الإسلام، والتي تيسر التفاهم مع أهل الكتاب.

أ- وحدة الرسالات السماوية:

فيكاد يجمع أهل الكتاب على أن مصدر النبوة والرسالة واحد وهو الله عز وجل، وعلى هذا لا يعقل أن يكون المصدر واحدا وأن تكون الرسالات متباينة والعقائد متناقضة، فما دام المصدر واحدا فلا بد وأن تكون العقائد واحدة، ولهذا يشير القرآن الكريم إلى وحدة الأديان السماوية في ثلاثة أشياء:

١- في المصدر: فمصدرها واحد وهو الله تعالى، قال: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ ٱللَّهُ يَجۡتَبِىٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِىٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ﴾ (الشورى: ١٣).

٢- المنهج: فالمنهج واحد وهو التوحيد قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾ (الأنبياء: ٢٥).

٣- التسمية: وهي الإسلام فكل من بعثه الله تعالى أو أرسله كان بالإسلام قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ (آل عمران: ١٩) - ورقة بحثية عن (حرية التعبير في مواجهة احترام الأديان) أُلقِيَت خلال مؤتمر الأديان الثاني بحضور علماء ورجال الأديان السماوية الثلاثة الذي انعقد بمدينة بريشنا بكوسوفا.

وانتهت الليلة الثانية.

***

طوفان الإلحاد

ذات مساء كنت أحضر مؤتمرًا للحوار بين الأديان، في فندق رزدن في مدينة برزيدن بجمهورية كوسوفا، بدعوة من السيدة رئيسة الجمهورية، كانت المتحدثة قبلي سيدة أمريكية ملحدة، والمتحدث بعدي حبر من أحبار اليهود.

تحدثت السيدة الأمريكية فقالت: نحن في أمريكا ثلاثة وأربعون مليونا من الملحدين، أي بنسبة ١٤,٥٪ من الشعب الأمريكي، ولنا مؤسسات تجمعنا، ونتواصل، وأعدادنا تزيد باستمرار، ونحن ننظر لرجال الدين نظرة لا تخلو من كثير من السخرية، وقليل من العطف لأنكم تؤمنون بأساطير لا وجود لها.

بعد انتهاء كلمة السيدة الأمريكية، أعلن رئيس المؤتمر عن كلمتي، فقمت: حمدت الله تعالى وصليت على رسوله الكريم. وقلت للسادة الحضور، من أهل الكتاب - مسيحي - يهودي - إن أصول الأديان الثلاثة موجودة في القرآن، وهي الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، ونحن كمسلمين ليست لدينا مشكلة في الإيمان بالأصول الخمسة، ولكنكم كمسحيين ويهود، لديكم مشكلة بينكم وبيننا وبينكم أنتم أنفسكم، والاختلاف يقع في الإيمان بالكتب والرسل، ويمكننا أن نتحاور فيما اتفقنا عليه، ونرحي وما اختلفنا فيه.

فهناك ثلاثة أركان يؤمن بها أهل الأديان السماوية جميعا، الله - الملائكة - اليوم الآخر، وقد استمعت معكم منذ قيل إلى السيدة الأمريكية، التي تكلمت بصراحة عن الإلحاد في أمريكا، ونحن لدينا أيضا ملحدون في العالم العربي، ففي مصر كان الملحدون وأغلبهم من عبدة الشيطان كان عددهم قبل ثورة ٢٥ يناير خمسة وعشيرون ألفا، والآن أصبح عدهم إثنين مليون نفس تقريبا، وأصبحت القنوات الخاصة المصرية تفسح لهم مجالا ووقتا لإعلان إلحادهم، وأيضا في إسرائيل يوجد ملحدون وأنا أتحدث وبجواري

اثنان من أحبار اليهود الكبار، ويمكن لهم الرد إذا كان هذا الكلام غير صحيح.

وناشدت المؤتمر الموافقة على أن نتحد كأهل أديان على أهم ركنين في العقيدة الأصلية وهما الله واليوم الآخر، ونعود إلى شعوبنا لنعمق الإيمان في قلوبهم لمواجهة الطوفان القادم: طوفان الإلحاد، وإن كان لي أن أستنتج شيئا فإنني أقول: إن الإلحاد إذا استمر بهذه القوة، وبقينا نحن نحارب بعضنا البعض، فإن الأديان السماوية ستكون في غاية الضعف عند عام ٢٠٢٥م وستفقد وجودها رويدا، فهيا نقوم معا بالاتحاد ضد الإلحاد، لأن الإلحاد تقف وراءه دول كبيرة لها إمكانات غير عادية، وينتظرون هذه اللحظة من قرون عديدة.

بعد نهاية كلمتي قُوبِلت بترحاب، وأعلن أن المتحدث بعدي سيكون أحد أحبار اليهود، وتحدث الرجل فقال: أرجو قبول عذري عن عدم إلقاء كلمتي لأن الدكتور محمد أبو زيد الفقي قال ما كنت أريد قوله، ثم جلس إلى جواري، وبعد انتهاء جلسات اليوم الثاني، تناولنا العشاء، وخرجنا للتجوال في مدينة برزدن، وعلى شاطىء نهرها الصغير الذي يجري بسبب ذوبان الثلوج الموجودة على قمم الجبال الخضراء، جلست في أحد الأماكن ونظرت إلى النهر ومائه الصافي، وتذكرت جهود الأتراك في فتح هذه البلاد؛ في الوقت الذي كان فيه العرب يقضون النهار في التمتع بالنساء القادمات من البلاد المفتوحة.

وفي نقلة ذهنية لم أكن أخطط لها، تذكرت أحد الشباب الملحدين في مصر، وهو يعلن كفره، ويتندر على علماء المسلمين، بما يقولونه للناس، وهي أفكار بالفعل بعيدة عن القرآن ومدسوسة على التراث الإسلامي، ولكن التمسك بها وإذاعتها ليل نهار، أصبحت من أسباب إلحاد بعض الشباب.

ولذلك أهيب بعلماء الأزهر الاهتمام بالنص القرآني ووضعه في قمة أي دليل، حتى نفعل شيئا قبل أن يجرفنا الطوفان، وليس لنا أي ذرة عند الله تعالى، وعندما يزداد الإلحاد في العالم العربي، فسيكون من أسبابه، تلك الأساطير والخرافات التي دُسَّت على

التراث الإسلامي وأؤلئك الذين رددوها بدون أن يعقلوها، حتى آمنوا بها قبل أن يرفضها الآخرون ويكفروا بها، وسنكتشف وقتها أن بعض دعاة الإسلام كانوا سببًا في ضياعه ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ فَنَادَواْ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾ (ص: ٣).

أفيقوا أيها السادة، فالعقيدة هي أقوى شيء في الدنيا في الناحية العسكرية والاقتصادية، والسياسية، والعلمية، وفي كل مناحي الحياة.

إن مشكلة الإلحاد من أكبر المشاكل التي ستواجه المجتمعات العربية: "المخلوقات الخرافية".

يقول الشاعر أحمد مطر في قصيدة نحن:

نحن لغز معجز لا تستطيع الجن حله

ومثال لم ير التاريخ مثله

لم ير التاريخ مثله

***

بعد النصر

هناك حملات تُشَن على الإسلام والمسلمين، بعضها يركز على أن القرآن الكريم يدعو إلى القتل، والسنة كذلك، ويأخذون جزءًا من الآية الكريمة، ويتركون باقي السياق مع أن القرآن هو الكتاب الوحيد الذي وضع دستورا للحرب، وآداب الحرب، وآداب ما بعد النصر.

وهذه اللحظة بالذات هي اللحظة التي ينفرط فيها سلوك الإنسان، ويمكن تسجيل ذلك عند مشاهدة مباراة كرة القدم، فعندما يقوم أحد اللاعبين بوضع الكرة في الشباك تراه يتصرف كالمجنون، ولا يمكن السيطرة على تصرفاته لعدة دقائق.

وهكذا الجيوش في الحرب عندما تنتصر يحدث لها هذا النوع من انفراط السلوك، فترى أفراد الجيش يفرطون في القتل بدون سبب - لأن النصر قد تحقق لهم - ويتم اغتصاب النساء بشكل همجي من القادة والجنود، وهذا ما تم تسجيله في حرب البوسنة والهرسك من قبل الصرب، ضد نساء المسلمين، وهذا ما حدث أيضا عند سقوط بغداد، وتم تسجيله صوتا وصورة في سجن أبو غريب في العراق.

وهذا ما حدث من جيوش الإمبراطورية البريطانية، والفرنسية أيضا، في جميع الحروب التي جرت على الأرض قبل الإسلام، فقد كانت القبائل العربية تغير على بعضها وكانت القبيلة المنتصرة تقتل الرجال وتسبي النساء، وتبقى القبيلة المنتصرة في مكان القتال أسبوعا لشرب الخمر واغتصاب النساء. وعندما جاء القرآن الكريم وضع للحرب آدابا وأخلاقا خاصة في حالة النصر، وكان الرسول (ﷺ) يطلب من القادة قبل خروج الجيش ما يلي:

(١) أن لا تقتلوا طفلا أو امرأة، أو رجلا عجوزا، ولا تهدموا بيتا، ولا تقطعوا شجرة، ولا تتمادوا في القتال بعد النصر لحظة واحدة.

(٢) ومن أعطاكم السلام فأمنوه، وأسمعوه كلام الله، ثم دعوه يختار لنفسه ما يعتقد.

(٣) لا تهاجموا قوما بدون إعلامهم بالحرب: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ﴾ (الأنفال: ٥٨).

(٤) أكرموا الكريم ولا تهينوه بين أهله، وأنزلوا الناس منازلهم، ووجهوا العامة من الناس إلى خير دنياهم ودينهم.

كل هذه الأخلاق أخذها رسول الله (ﷺ) من القرآن الكريم، أما دستور ما بعد النصر فهو يتجلى في هذه السورة الكريمة:

بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ۝٣﴾ (النصر: ١-٣)

فهذه السورة تبين أن الحرب إذا حققت أهدافها وجاء النصر؛ فلا بد لجيش المسلمين المنتصر أن يكبح جماح أفراده، وأن يعود الجميع إلى الاستغفار والتوبة لعلهم ارتكبوا أخطاء - أثناء الحرب - لا يعرفونها، وأن الذي يقابل النصر في القرآن هو الاستغفار والتوبة، والأوبة إلى الله تعالى، وإعادة تنظيم الشعوب المهزومة والتقرب إليه بأخلاق القرآن، وتوجيهها إلى الخير والسعادة في الدنيا والآخرة، وهذه السورة المباركة تعد دستورا عالميا لأخلاق الجيوش المنتصرة، وكان من الممكن أن تعطي سمعة عالمية للإسلام، وترد على أعدائه المتبجحين بكثرة هذه الأيام بسبب ضعف المسلمين وغياب عقلهم العام.

ومن الممكن التماس الأعذار للعامة، لأن أعداء الإسلام لعبوا في ثقافتنا وفكرنا الإسلامي، فسوف تصيبك الدهشة، بسبب تحريف معاني القرآن عن طريق اختلاق قصص لا أساس لها، والذي يدهشك أكثر هو انتشار هذا التحريف والتخريف وقبول بعض أفراد الأمة له - بلا فكر ولا حياء - وتسابق الدجالين والمشعوذين - على ترديد هذا الكلام، وكأنهم يعملون لصالح الأعداء، ومع هذا يتظاهرون بالعلم والصلاح والتقوى،

وهم أبعد ما يكونون عن كل ذلك، ولن يكونوا أتقياء بعد تواطئهم على تغيير معاني القرآن.

فيما سبق ذكرنا أن سورة النصر تضع دستورا عالميا، لأخلاق الحرب فيما بعد النصر، وهذا ما كان يفعله الأوائل الشرفاء ولم يسجل على أي جيش إسلامي أخطاء بعد النصر، إلا في حالة واحدة، حدثت من الأتراك بعد فتح البانيا وما تلاها من البوسنة والهرسك، فبعض الجنود الأتراك تصرفوا آنذاك بوقاحة لا يعرفها الإسلام، ويمكن التماس العذر لهم بسبب اللغة، والتفاسير المحرفة التي كانت معانيها تصل إليهم.

تقول جمهرة المفسرين من أول ابن جرير الطبري، وإلى الآن: أن سيدنا عبد الله بن عباس كان صغير السن - عشر سنوات - وكان سيدنا عمر بن الخطاب يجلسه في مجلس الصحابة، فاستاء الصحابة الكبار من مساواة طفل صغير بهم في الجلسة، فأراد سيدنا عمر أن يلقنهم درسا بليغا - هكذا تقول الأسطورة - فقال لهم: ما فهمكم لقول الحق سبحانه وتعالى: تحدثت هذه السورة عن فتح مكة، حيث أعز الله تعالى الإسلام ونصر المسلمين وانتشر الإسلام، ودخل الناس دين الله أفواجا وارتفعت راية الحق عالية شامخة، قال تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ۝٣﴾ (النصر: ١-٣).

فقال كبار الصحابة: هذه السورة تعلمنا آداب ما بعد النصر، وهذا ما فهمناه من رسول الله (ﷺ) في حياته، فقال سيدنا عمر لابن عباس: وماذا تقول أنت يا غلام؟ فقال عبد الله ابن عباس: هذا نعي رسول الله من الله، فهو يخبره بقرب أجله، فقال له سيدنا عمر: أصبت وقولك هو الصحيح، وهنا شعر كبار الصحابة بالخجل، وتركوا ابن عباس يحضر مجلسهم، ولم يعترضوا بعد ذلك هذه الرواية المختلقة ترد من عدة وجوه.

١- إن رسول الله (ﷺ) علم الصحابة أخلاقيات الحرب بعد النصر، وهذه السورة كانت القاعدة التي يبني عليها رسول الله توجيهاته للجيوش وتثبت ذلك في وجدان الصحابة الكرام.

٢- إن سيدنا عبد الله بن عباس كان عمره عند موت رسول الله ﷺ سبع سنين وعند ذكر هذه الرواية كان عمره ١٠ عشر سنوات ونصف تقريبا ولا يمكن له أن يفهم من رسول الله فهما عميقا وهو في هذا السن الصغير.

٣- إن سيدنا عبد الله بن عباس، وسيدنا عمر بن الخطاب بريئان من هذه الرواية الخبيثة، والتي تجعل من تفسير القرآن مادة سريالية، لا ترتبط بالنص بأي إشارة.

٤- إن الذي لفق هذه الرواية أراد أن يصرف الناس عن عظمة القرآن الكريم ونبل معانيه، والطعن في عالميته.

٥- عند الله تعالى في اللوح المحفوظ اسم هذه السورة سورة النصر وسماها رسول الله بذلك وسجلها كتاب الوحي بذلك، ولكن الغافلين والمتغافلين جهلوها بدلا من سورة للنصر سورة للنعي والعزاء والبكاء الطويل والعويل الثقيل - انظر كيف تم هجر القرآن الكريم. وفي يوم واحد سمعت أحد أعداء الإسلام وهو يتهم الرسول والقرآن بتقرير القتل، وعندما قلبت القنوات وجدت مفتيا لبلد عربي يردد الرواية المكذوبة على سيدنا عبد الله بن عباس، ولا يستعمل النص الصريح لسورة النصر، قلت في نفسي إذا كان هذا الفتى بهذا الغباء المستحيل، فيمكن التماس العذر لأعداء الإسلام، إذا لم يصلوا إلى فهمه بطريقة جيدة: ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا ﴿٦٧﴾ رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾﴾ (الأحزاب: ٦٧، ٦٨).

***

بول الإبل

كنت أقوم بإنشاء معهد أزهري بإحدى القرى، وبعد انتهاء الإجراءات وبداية العمل، ذهبت إلى موقع المعهد، وجلست مع اللجنة التي ستتولى الإشراف، وبدأنا في وضع خطة للعمل، وطلبت منهم أحد الشباب ليقوم بحراسة الموقع، ويكون هو الرجل الذي سأعتمد عليه في كل مراحل العمل، وبعد أن تداولت اللجنة الأمر بينهم وقع اختيارهم على شاب يُسَمى عبد الحميد، وطلبت منهم استدعاءه لكي أراه وأتفق معه.

جاء الشاب وسيما قويا تبدو عليه بشارات الأمانة والاتزان من أقواله وأفعاله واتفقنا وارتبطنا أنا وهو في علاقة تقوم على التقدير والاحترام، وكان الشاب مخلصا في عمله لدرجة يقل وجودها.

وكنت كلما أنزل عليه في موقع المعهد أجد كل شيء على ما يرام، بالإضافة إلى أنه لا يفوته فرض في المسجد مع الجماعة إلا لظروف خارجة عن إرادته، كان محبوبا من كل أبناء القرية.

وفي ليلة ذهبت لزيارة المعهد بعد صلاة العشاء وجلست أتحدث مع عبد الحميد، وكان يشجيني حديثه الطيب الذي يخرج من القلب، وسألته سؤلا مباغتا: لماذا لا تتزوج يا عبد الحميد؟

فابتسم، ثم تحولت الابتسامة إلى ضحك يخنقه حياوه المفرط، وقال: يا مولانا أنا فقير لا أملك إلا صحتي وهي نعمة من الله تعالى.

وقلت: لماذا لا تختار ثم نعد للزواج وسوف أساعدك.

قال لي: عن الاختيار فكثير من فتيات القرية يرغبن في الارتباط بي.

قلت: وأين قلبك؟

قال: مع زبيدة بنت أحد أعضاء اللجنة.

قلت: وما يمنعك من خطبتها إلى أن تتحسن الأحوال؟

قال: كيف وأنا أحتاج إلى تجهيز كل شيء.

قلت له: من ناحيتي سأجعل عملك لا يقتصر على الحراسة فقط، فأنت بصحة جيدة ويمكن أن تقوم بكثير من الأعمال، وستحصل على أجر عن كل عمل تقوم به. وفي الوقت المناسب سوف أتحدث مع والدها.

ومضت الأيام وكل مبلغ يكسبه عبد الحميد يدخره، وكنت أحيانا أداعبه بسؤاله: كيف ترى الحبيبة؟

قال: أحيانا تأتي للسؤال عن والدها.

قلت: وبماذا تشعر عندما تراها؟

قال: تغيب عني الشمس فلا أراها، وكذلك القمر إذا جاءت ليلا، وتغيب عني كل الأصوات فلا أسمع شيئا.

قلت: وماذا ترى وتسمع ساعتها؟

قال: أراها جسدي الذي يتحرك على الأرض، وأسمع دقات قلبي الذي يكاد أن يتمرد علي ويخرج من بين ضلوعي.

قلت: وهل تعتقد أنها تبادلك الحب؟

قال: أشعر بذلك.

قلت: كيف ؟!

قال: كلما أتت وبقيت فترة مع أبيها، ثم انصرفت وقبل أن تغيب عن المكان تتجه ناحيتي، وتنظر إلي وتبتسم، وفي ابتسامتها كل الأجوبة عن الأسئلة التي بداخلي.

قلت: يا عبد الحميد لقد أصبحت شاعرا، وعلمك الحب كيف ترسل المعاني وتلتقطها من غير لغة، وكأنك علوت على الناس وتجاوزت طبيعتك.

مضت سنتان على عمل عبد الحميد معي، وأصبح لديه مبلغ من المال لا بأس به،

وطلب مني أن أفاتح والد زبيدة في خطبتها له، وبالفعل تحدثت مع الرجل، وكان رجلا نبيلا تقيا، وقال لي: رغم ضعف إمكانيات عبد الحميد فأنا سأعتبره كأحد أولادي.

انتهى العمل في المعهد، وغبت عاما كاملا قبل أن أعود إلى القرية مرة أخرى، ولكنني عدت، ولما قابلت عبد الحميد وجدته حزينا، فقلت له ما الذي يجعلك حزينا وقد قمنا بتشغيلك ضمن العمالة في المعهد، وأصبحت لديك وظيفة تضمن لك دخلا ثابتا، ومعاشا لأولادك بعد عمر طويل.

قال: يا مولانا ذهبت مع صديق لي، وكان مريضا، وكنت أسانده حتى يقض يوما في معمل للتحاليل وعند الطبيب، ولكن صاحب المعمل قال لي: زميلك عنده فيروس (سي) فلماذا لا تجري أنت الآخر تحليلا تطمئن من خلاله على صحتك؟ فوافقت وأخذ مني عينة، وفي نهاية اليوم أخبرني أنه ظهر عندي علامات للفيروس، ولا بد من العلاج.

قلت له: يا بني إن أهم ما فيك من وقت أن عرفتك هي الصحة.

قال لي: بصوت يجمع بين اليأس والرجاء، إن صديقي هذا سيذهب إلى مدينة الحمام وهي تقع بين الإسكندرية ومرسى مطروح للعلاج ببول الإبل وسأذهب معه إلى هناك حتى أعود سليما وأتزوج من زبيدة.

قلت: يا عبد الحميد، بول الإبل هو خلاصة السموم الموجودة في الإبل.

فقال: إننا نشرب معه كمية من لبن الإبل، وأنا سمعت أحد المشايخ الذي أتى لإقناع مرضى القرية للعلاج يقول: إن هذا من الطب النبوي، النبي (ﷺ) يقول تداووا بألبان الإبل وأبوالها.

قلت: لا يمكن أن يكون الرسول (ﷺ) قال ذلك وهو الذي علم البشرية الطهارة، وارتقى بالعرب حتى جعلهم شهداء على الناس.

قال لي: سأذهب مع السيارة التي تجمع الناس للعلاج بالبول وأسألك الدعاء، وسافر عبد الحميد، وتوارت الحكاية في رأسي لكثرة انشغالي.

وفي يوم من الأيام دق جرس الهاتف في بيتي، وعلى الطرف الآخر جاء صوت صديق من أهل هذه القرية، وقال لي: إن عبد الحميد يحتضر ويسألك الحضور فورا لأنه يريد أن يسألك بعض الأسئلة قبل أن يموت.

أسرعت في الذهاب إلى القرية، وعندما دخلت عليه وجدت أمامي هيكلا عظميا مخيفا لأكثر شباب القرية وسامة وقوة، وطلبت من الحضور مغادرة الغرفة، واقتربت من عبد الحميد حتى لامست أذني فمه وقلت له قل ما تشاء.

قال لي: هل سألتقي بزبيدة في الجنة، بعد أن عز علينا اللقاء في الدنيا؟

قلت له: هذا أمر في علم الله تعالى، ولكني سأدعو الله لك أن تكون من نصيبك.

قال لي: هل ستستمر في تحذير الناس من العلاج ببول الإبل؟

قلت: أعدك بذلك، ولكن هناك بعض أدعياء العلم من الذين يحفظون ولا يفهمون ومواعظهم وكلامهم أكثر سمية من بول الإبل الذي قضى عليك وعلى أمثالك من خيرة شباب مصر والعرب.

وفي نفس اليوم من الأسبوع التالي كنا نمشي في جنازة عبد الحميد نودعه إلى مثواه الأخير ضحية الجهل والتخلف، وفكرت ودرست عن هذه المهزلة وخرجت بعدة ملاحظات:

الملاحظة الأولى:

إن هذا الحديث بهذه اللغة يُرد، وهو (يلغي) آية من القرآن الكريم: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ﴾ (النحل: ٦٦)، فالله تعالى يبين لنا إعجازه في استخلاص اللبن من الإبل من بين البول والبراز والدم لبنا خالصا سائغا للشاربين؛ فالمعجزة في الفصل بين هذه العناصر، فلا يمكن للحبيب المصطفى(ﷺ)، أن يأمر الناس بإعادة خلط البول باللبن، وإلا عارض ذلك القرآن الكريم وألغاه، وهو لا يتصور من المبلغ العظيم (ﷺ).

ولقد رجعت إلى معظم التفاسير لهذه الآية (النحل: ٦٦) فوجدت إجماعا منهم على

أن المعجزة هي معجزة الفصل بين البول الذي يحمل السم الخارج من الجسم، والدم الذي ما زال يحمل أجزاء من السم، سيخرج عن طريق الكلى سما في البول.

الملاحظة الثانية:

إن الرسول (ﷺ)، الذي كان يعلم البشرية الرقي والطهارة لا يمكن أن يأمر الناس بهذه القذارة المدمرة للصحة.

الملاحظة الثالثة:

إن الرسول (ﷺ) بريء من هذا القول وكل علماء السنة الأشراف ليسوا مسؤولين عن هذا، وأن إضافة البول إلى الحديث دُسَّ أثناء الطبع، أو حدث سبق قلم من الكاتب، لأنه يمكن تصور الحديث هكذا "تداووا بألبان الإبل ألبانها" وتنصب ألبانها على الاختصاص للتأكيد لأن في لبن الإبل فوائد.

الملاحظة الرابعة:

إن بعض الناس الذين يذهبون إلى مزارع البدو لشرب بول الإبل تتحسن صحتهم بعض الشيء، لكن يتخزن السم في الكبد حتى يتحول إلى مرض خبيث - السرطان - فيما بعد، أما التحسن فسببه أن أصحاب المراعي يقدمون للناس بولا للإبل وبعده يقدمون لهم لبنا للإبل، ولبن الإبل فيه مادة تقوي المناعة بشكل مباشر وتزيل سم البول جزئيا، وليتهم يعالجون الناس بألبان الإبل خالصة: كانوا قد حققوا منافع كثيرة للناس.

الملاحظة الخامسة:

إن كل من يروج للعلاج ببول الإبل يجب على الدولة القبض عليه وإلقائه في السجن لحماية الناس من خطر ما يروج له، مهما كان عمله سواء كان خطيبا على منبر أو أستاذا في الجامعة فهما في الجهل والجرم سواء، وليعلم من لا يعلم من القراء أن البول يحتوي على مادة (البولينا ومادة اليوريا)، ومواد أخرى شديدة السمية مثل (الكرياتينين)، والقول بأنه علاج جريمة قاتلة، وعندما تزيد مادة من هذه المواد في بول الإنسان، يكون

ذلك نذير خطر على حياته، ولدينا في مصر، أربعة ملايين يقومون بالغسيل الكلوي ثلاث مرات في الأسبوع، بسبب زيادة نسب هذه المواد في الدم مجتمعة، أو زيادة أحدها، والمريض الواحد يكلف الدولة (٨٤٠٠٠) أربعة وثمانين ألف دولار حتى يلقى ربه بعد كل هذه الخسارة المادية، بجانب عجزه عن العمل الذي يساوي له خمسة أضعاف هذا المبلغ.

الملاحظة السادسة:

يجب رد هذا الحديث متنا وإن صح سندا لأنه يعارض آية من القرآن ويلغي ما فيها من إعجاز، ولمن لا يريد رد الحديث فعليه حذف كلمة الأبوال لأن هذه الكلمة لا وجود لها في قول رسول الله (ﷺ) وقد دُسَّت على كتبي الحديث لتكثيف الجهل والطعن في الإسلام وهذا البول لا وجود له إلا في رؤوس الذين يرددون هذا الكلام الغريب.

الملاحظة السابعة:

يجب الحرص على تناول ألبان الإبل وعلاج الكبد عن طريق المتخصصين من الأطباء خاصة الأذكياء الأتقياء، لأن انحراف بعض الأطباء يقف كسبب أصيل لانحراف المرضى وتسليم أنفسهم للمجرمين الذين يسقونهم السموم من أبوال الإبل.

يقول المتنبي: يا أمة ضحكت من جهلها الأمم.

***

من موانع التقوى: كثرة الدعاء بلا عمل

الدعاء بلا عمل سعي بلا أمل، وفي شهر رمضان خاصة في العشر الأواخر يذهب الناس إلى المساجد، ويكثرون من الدعاء في القنوت وفي صلاة التهجد.

وكان لزاما علينا أن نتعرض لهذا الموضوع، لأن رمضان في العصر الحديث أصبح مناسبة لكثرة الأكل والشرب، والدعاء بالنسبة للجمهور المسلم الطيب، أما بالنسبة للجمهور الآخر فهو مناسبة للهو واللعب، والتجارة، ومشاهدة الأعمال الهابطة في وسائل الإعلام، ولكننا سنناقش الجمهور المسلم الذي يرجو الآخرة ونبين له موضوع الدعاء وكيف يكون عائقا في طريق التقوى، وسنعرض هذا الموضوع كما يلي:

١- القنوت: لا يوجد قنوت في الصلاة في شهر رمضان عند كل المذاهب، ما عدا بعض المتأخرين في المذهب الشافعي، وقالوا يمكن دعاء القنوت في الوتر في نصف رمضان الأخير، أما القنوت من أول رمضان فلا تعرفه المذاهب الإسلامية، وهي عادة شعبية، وارتزاق (أكل عيش).

وأذكر أنني دُعيت للحديث في أحد المساجد الكبيرة، وألقيت محاضرة عن العمل العمراني في القرآن الكريم، وصرفت لي وزارة الأوقاف (٧٠) سبعين جنيها عن المحاضرة تبرعت بهم لعمال المسجد، وأمَّ الناس بعدي رجل يتقن الدعاء، وأعطاه أحد رجال الأعمال (٢٠٠٠٠) عشرين ألف جنيه في الساعة التي دعاها.

٢- إن الدعاء لمدة طويلة غير مطلوب وأحيانا يحمل (سقطًا في التوحيد)، فقد دأب بعض المرتزقة على إطالة الدعاء، وحشر عبارات تستجلب غضب الرب، وتظهر جهل العبد، مثل: اللهم تقبل صلاتنا وركوعنا وسجودنا، فالله تعالى لو قبل الصلاة سيتقبلها كاملة أما ذكر الركوع والسجود، فهو عنوان على غباء الداعي، وعدم أدبه مع سيده وهو يدعو، لأنه كأنه يشرح لربه شيئا لا يعلمه الرب وهو دخول الركوع والسجود في الصلاة.

وأحيانا يُجَن الداعي وهو يؤم الناس في صلاة الوتر، ويقول: يا الله، فيقول الله: نعم

عبدي، فيقول: يا رحمن، فيقول الله: نعم عبدي، وهكذا إلى نهاية الأسماء الحسني وكأنه لا يعرف من ينادي، ولا مقام من ينادي، ولو فعلها مع أحد الوزراء، وقال: يا سيادة الوزير، فيقول الوزير: نعم، فيقول: يا وزير التعليم، يا دكتور علاء، يا نصير المظلومين، يا واضع البرامج الناجحة، يا متواضع. عند ذلك سيأمر الوزير حرسه بضرب هذا الرجل السفيه بالعصا، وهكذا الإمام الذي ينادي ربه بالأسماء الحسني دون أن يعرب عما يريد، فإنه يسقط من عين الله تعالى، وينظر إليه باعتباره أحد الحيوانات الضالة والمضلة.

٣- الدعاء المقبول: يعتمد على ما يلي:

أ- قلة الألفاظ والحروف والوقت. قال رسول الله (ﷺ) لما رأي الصحابة يكثرون من الدعاء: "أيها الناس؛ إن روح القدس نفث في روعي أن لن تموت نفس إلا أن تُوَفى رزقها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب: رواه ابن ماجه وصححه الألباني، وهذا الحديث يعني أن كثرة الدعاء تبدد التقوى وكثرة الدعاء ليست من التقوى على الإطلاق.

ب- العمل بجهد قبل الدعاء.

ج- أن يكون الإنسان في حالة اضطرار، ودعاء المستحق المضطر، يقبل من المسلم وغير المسلم على السواء، أما الإلحاح في الدعاء بدون محاولة تغيير الواقع، فهو دعاء مردود على صاحبه وحديث "ألحوا في الدعاء" موضوع ولا وزن له، والدعاء في القنوت بغير الدعاء المأثور: "اللهم اهدنا بفضلك فيمن هديت" هو تحريف للسنة ورد على صاحبه، وإذا نظرنا إلى القرآن الكريم نجد ما يلي:

٤- إن رسول الله (ﷺ) لم يدع دعاء واحدا مستقلا به من أول القرآن لآخره، وكان الله تعالى يأمره بدعاء لا يستغرق دقيقة واحدة مثل: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۗ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾ (طه: ١١٤)، ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَٰنًا نَّصِيرًا﴾ (الإسراء: ٨٠)، ﴿وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ (المؤمنون: ١١٨)، ... وهكذا.

٥- الأنبياء جميعا لم يزد دعاء أحدهم عن نصف صفحة من القرآن الكريم، وسيدنا نوح صنع سفينة للنجاة في ٤٠ عاما، وعندما انتهى من عمله: ﴿ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴾ (القمر: ١٠)، والدعاء هنا [فَانْتَصِرْ] وهو لم يستفرق ثانية واحدة، ولكن تقبل الله منه، وتم تغيير شكل الكرة الأرضية بناء على دعاء لم يستغرق ثانية والآيات بكاملها كما يلي في سورة القمر من الآية ١٠ إلى الآية ١٥:

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٥﴾ ﴾

ولكن في الآية الأخيرة ربُّنا يقول: ﴿وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾(القمر: ١٥) والمعنى: أن ما حدث لنوح من كثرة العمل وقلة الدعاء والاستجابة فهذا يُعْتَبر آية، فهل نجد من يفهم القرآن.

١- الآيات التي جاءت في القرآن الكريم عن الدعاء:

الآية الأولى: هي قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ (البقرة: ١٨٦).

هذه الآية من الآيات التي تتكرر كثيرا على ألسنة الناس، وخاصة الذين يتصدرون الوعظ والإرشاد، ويركزون على أن الله تعالى قال لرسوله: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ (البقرة: ١٨٦) ولم يقل له (قل) وهذا يدل من وجهة نظرهم على أن باب الدعاء مفتوح على مصراعيه - سداح مداح - ولم يتنبه أحد إلى أن الدعاء في هذه الآية مقيد جدا، وقبوله في منتهى العسر لعدة أسباب:

أ- إن الله تعالى يقول ﴿عِبَادِى ﴾، وعبادي هذه تحتاج إلى عمل وعبادة.

ب- إن الله تعالى يقول ﴿قَرِيبٌ أُجِيبُ﴾وتربط الاستجابة بشرطين:

الشرط الأول - ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي﴾، والاستجابة لله تعالى تحتاج تنفيذ أوامره واجتناب نواهيه، وأن يكون قلب العبد مع الله دوما في كل تقلبات حياته، من خير وشر، من نفع وضر، من صحة ومرض، من غني وفقر، من عز وذل. هذه هي الاستجابة لله تعالى.

الشرط الثاني: الإيمان بالله تعالى إيمانا خالصا، صالحا على مقاييس الإيمان في القرآن الكريم.

الشرط الثالث: ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾، ولم يقل الحق تعالى سيرشدون ولكن قال "لعلهم" ليفتح باب الأمل والاجتهاد والعمل بصدق في أمور الدين والحياة.

هذا كله في وقت العافية، أما في حالة الاضطرار فالدعاء مقبول من المسلم ومن غير المسلم.

الآية الثانية: والناس يعتمدون على هذه الآية أكثر من السابقة وهي قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ (غافر: ٦٠)، فالمسلمون يحتفلون بهذه الآية احتفالا كبيرا، لدرجة أنهم صنعوا منها فواصل في إذاعة القرآن الكريم، والفاصل يقول: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ (غافر: ٦٠)، وهذا الفهم السقيم تقابله قسوة قلوب الناس على الفور، والآية الكريمة لا علاقة لها بالدعاء على الإطلاق، ولا باستجابة هذا الدعاء لأن ﴿ادْعُونِي﴾ في هذه الآية بمعنى اعبدوني بدليل قوله تعالى:﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ (غافر: ٦٠)، فالدعاء هنا بمعنى العبادة، ولا علاقة له بالسؤال ولا بالتسول.

وهناك ملاحظة هامة جعلت الأنبياء والمرسلين لا يدعون كثيرا، ويتحرجون من كثرة الدعاء، وهذه الملاحظة هي أن الدعاء أوامر تصدر من العبد إلى الرب.

وقالوا في علوم البلاغة أن الطلب من الأدنى إلى الأعلى، يعني الاستعطاف وهذا

صحيح، إلا أنه يبقى في جوهره أمر - ارزقني - وفقني - افعل لي كذا - نجح ابني - ويمكن أن يكون الولد فاسدا لا يستحق النجاح - إلى أخر هذه الأوامر، فهيبة الرب في قلب العبد تجعله لا يدعو إلا في الضرورة القصوى، مثل ما فعل النبي المصطفى سيدنا محمد رسول الله (ﷺ).

×× أناشدكم أيها المؤمنون العمل ثم العمل ثم العمل ثم الدعاء دون إكثار حتى لا نحصل من دعائنا الكثير على نتائج عكسية، مثلما حدث مع إسرائيل، فقد ظل العالم العربي بعلمائه وأوليائه ومنافقيه ودجاليه، يدعون عللى إسرائيل بالخراب والدمار ولا يعملون شيئا للتغلب عليها وتحرير أرض فلسطين، وبعد ثمانية وستين عاما من الدعاء على المنابر وفي البيوت والأندية وأجهزة الإعلام العربي، حل الخراب بالدول العربية جميعا، وأصبحت إسرائيل هي الدولة الوحيدة القوية في المنطقة لا بسبب خير تفعله ولكن بسبب معاصينا وتكاسلنا في كل المجالات.

والله لا يتقبل دعاء الكسالى والغشاشين، والمجرمين، والذين تلوثت أيديهم بعرض أمة، كانت غاية في القوة، والطهارة. وقدم الدجالون الدعاء للأمة العربية على أنه بديل عن الجهاد والحرب وطلبوا من الله تعالى أن يقوم بالنيابة عنهم بتدمير إسرائيل، وهذا الدعاء نوع من المخدرات المغشوشة التي تصرف للجماهير العربية ثلاث مرات كل يوم.

يقول الله تعالى لرسوله الكريم: ﴿ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴾ (ق: ٤٥).

لاحظ هنا ذكر بالقرآن أرجو وضع خطوط كثيرة تحت كلمة القرآن وانظر وتفكر في هجرنا للقرآن الكريم، واستبداله بخرافات الأزمنة الغابرة والأطياف المخادعة العابرة. وهو الحق الوحيد الذي لا يتغير أبدا.

***

عقبات تواجه الصائم

تقييم العلاقة بربه بناء على إحساسه هو، وهذا ينطبق أيضا على غير الصائمين من المسلمين، ويكون سبب إفطارهم في نهار رمضان هو إقامة علاقتهم بربهم بناء على إحساسهم هم، وهي مشكلة كل العصاة في العالم الإسلامي.

وقد ضرب القرآن الكريم أمثلة عديدة لهذا المسلك، وسنأخذ هنا مثالين يتضح منهما: أن هذا الطريق يمكن أن يأخذ بيد صاحبه إلى الكفر وإنكار قيام الساعة، والتجاوز في التعامل مع الله تعالى:

المثال الأول:

أنعم الله تعالى على رجل بحديقتين - سماهما القرآن - جنتين لجمالهما وكثرة ثمرهما - ولو كان المسلمون يفهمون القرآن ولا يحفظونه فقط لخرجوا من هذه الآيات بوجوب زراعة كل شبر من الأرض، وزراعة الأرض بأكثر من محصول في وقت واحد، ولكنهم حفظوه وغنوه وفسروه في بعض الأحيان بالأكاذيب والروايات الملفقة، ولم ينتبهوا إلى ظاهر النص.

ومع هذا فقد أنعم الله تعالى على الرجل بالحديقتين، (ذات التركيب المحصولي) فقد زرعهما الرجل بالأعناب - أكثر من نوع - وزرع حولهما نخلا يثمر تمورا غالية، وزرع بين شرائط الأعناب زراعات متعددة، من الخضروات إلى البقول، إلى القمح، والجدير بالذكر أن اليهود استفادوا من هذه الآيات بالإضافة إلى آيات أخرى في القرآن الكريم، وأصبحوا خبراء في الزراعة على مستوى العالم، زرع الرجل كل ذلك ووفقه الله تعالى في زراعته، وجلبت له هذه الثمار أموالا طائلة.

وبدأ يشعر أن هذا الغنى بسبب حب الله تعالى له، وبدأ يتكاسل في العبادة حتى وصل إلى إنكار الآخرة، ولكنه قال: حتى لو كانت هناك آخرة، سأحصل فيها على أفضل مما

حصلت عليه في الدنيا فقال: ﴿ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴾ (الكهف: ٣٦)، والقصة كاملة في سورة الكهف من الآية ٣٢ إلى الآية ٤٤، وأرجو من السادة القراء ملاحظة أنه برغم أن الله يمن على هذا بالجنتين، إلا أن الرجل هو الذي زرعهما بيده وعرقه وجهده، ولكن الله تعالى يمن عليه لأنه وفقه إلى ذلك وألهمه كيف يزرع وكيف يكسب.

ولكن هذا الربح الوفير دفع الرجل إلى التكاسل عن العبادة، ثم رفضها، ثم إعلان الكفر بالآخرة، كما أرجو ملاحظة أن هذا السلوك موجود الآن بين بعض أغنياء العالم العربي وأنهم يأخذون عطاء الله ويعملون به ما يغضب الله سبحانه وتعالى، وأعرف اثنين من أغنياء الأسرة السعودية جمعا قدرا كبيرا من المال بحق، وبغير حق، ولكنهما استخدما هذا المال في عمل قنوات فضائية لبث الرذيلة وأصول الكفر بين المسلمين، وإضاعة أوقاتهم وصرفهم عن العمل، وقرأت من مدة في صحيفة يومية لأحدهما قوله: يجب أن يكون عمل العبد كله في الطاعة وخدمة دينه وأمته، فقلت في نفسي: هذا هو صاحب الجنتين في سورة الكهف.

المثال الثاني:

بعض الناس يعيش على الدعاء وطلب الخير من الله تعالى لأنه يظن أن الله حبيبه وأن الله تعالى يحب كل الناس، حتى المقصرين والمخبولين، وهي علاقة من جانب واحد، ومع هذا يعطيه الله تعالى من رحمته وبره، وحينما يغنيه الله تعالى ينسى ما كان يدعوه، وينسى دعاءه، ويتجبر بسبب النعم التي أنعم الله عليه بها، ويقول حتى لو عدت إلى ربي ستكون الجنة من نصيبي، ففني الدنيا غني الآخرة، ويأخذ من هذه الحالة اعتقادا بالكفر بالآخرة.

والذي لا يعرفه الغافلون أن بعض الناس، يؤمنون بوجود الله تعالى، ولكنهم يكفرون

باليوم الآخر ولسان حال هذا البعض: (إحنا مش هنعيش يا روحي مرتين). ليس هذا رأي مؤلف أغنية أم كلثوم، بل اعتقاد بعض الناس، خاصة الذين اغتنوا بعد فقر، وأصبحوا أعزة بعد ذلة.

يقول تعالى في الآيتين الكريمتين: ﴿لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَـٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ ﴿٤٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَـٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَـٰذَا لِى وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ ۚ فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٠﴾﴾ (فصلت: ٤٩، ٥٠).

والأمثلة كثيرة في القرآن الكريم لمن أراد أن يحصيها، ولقد تابعت أحاديث الفنانين والفنانات، الراقصين والراقصات، في الصحف قبل بداية شهر رمضان وأثناءه، فوجدت أن صناع المعاصي، ومنتجي الرذيلة كلما سُئلت إحداهن عن العمل الفني الخاص بها قالت: إنه من أوله لآخره تم بتوفيق الله سبحانه وتعالى، وضربت إحداهن صدرها العاري بيدها، وقالت، ربي حبيبي أحتاج لتوفيقه في أعمالي في الدنيا، وإن شاء الله سيدخلني الجنة في الآخرة (أمّال لو إحنا ما دخلناش الجنة مين إللي هيدخلها؟)

هذه أمثلة سيئة ورديئة، ولكنني أحذر أن العبادة بالإحساس موجودة عند غالبية المسلمين، وهي عبادة من طرف واحد، وحب من طرف واحد، وهذا المرض يصيب أيضا بعض العلماء فترى بعضهم يتكلم بما لا يرضي الله ويوزع الجنة (التي ورثها عن أبيه على كل من هب ودب)، وهذا العالم ليس جاهلا ولا غافلا ولا دجالا لهذه الدرجة، ولكنه يشعر أنه بسبب حفظه القرآن - بدون فهم طبعا - وبسبب صلواته وبعض الدروس التي يؤديها يشعر أن الله قد أحبه، وأعطاه حرية توزيع الكرامات على الناس، وتقسيم الجنة بينهم.

ولذلك حين أتكلم عن عبادة الله بالإحساس، وأؤكد أن هذا مرض أشد على الناس من أنفلونزا الخنازير، أقول إننا يجب أن نتقرب إلى الله بالشريعة وبالخوف والرهبة

والرغبة بعد الرهبة، ونسلك طريق القرآن ونودع للأبد طريق الدجالين. يقول تعالى:

﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ﴿١٠٦﴾﴾ (الكهف: ١٠٣-١٠٦).

***

السر الأساسي في صيام رمضان

منذ فترة طويلة قمت بدراسة متعمقة للإجابة على هذا السؤال: ما الذي يمنع الناس من الوصول إلى درجة التقوى مع أنها السر الأساسي في صيام شهر رمضان؟ قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ (البقرة: ١٨٣).

مع أن المسلمين جميعا يتقون الله في الصوم، فالصيائم المسلم يضرب أعظم الأمثلة في الالتزام بالصيام، ويكون الرجل أو المرأة، أو الشاب أو الشابة، أو الأطفال الذين يقدرون على الصيام، كل هؤلاء يكونون في غرف مغلقة، وحولهم الطعام أو الشراب، ولا يقتربون منها حتى آذان المغرب، هذه الحالة الإيمانية الشفافة تقرب المؤمن من عالم التقوى، وتجعل من رمضان طريقا واضحا لا لبس فيه للوصول إلى التقوى، لكننا حين ينتهي رمضان، ونقوم بحساب الحصاد والنتائج، نرى أن نسبة تعلم التقوى أو لمسها في كثير من الموانع التي تؤثر على الناس، وتجعل معظمهم لا يستفيدون من هذا الشهر إلا أداء الفريضة، وهذه العوامل هي - الشفاعة - رحمة الله تعالى - الإيمان عن طريق الإحساس الشخصي، وليس عن طريق القرآن والسنة التي لا تعارضه ونعرض هذه الأمور فيما يلي:

أ- الشفاعة:

يتصور معظم المسلمين أن شفاعة الرسول (ﷺ) ستنقذهم من عذاب الله مهما كانت ذنوبهم، وهو نفس التصور في العقيدة المسيحية، فهم يرون أن الله تعالى تجسد في بطن مريم عليها السلام، وعاش يدعو الناس إلى الخير وأنه قُتِل وصُلِب من أجل رفع الخطيئة عن الإنسان، ونحن كمسلمين لا نوافق على هذه العقيدة، ونعلم يقينا أن المسيح

لم يُصْلَب ولم يُقْتَل، ولكننا نوافق على أن سيدنا محمد بن عبد الله سيتحمل ذنوب أمته ويغفرها لهم، فنحن نختلف مع المسيحيين في الأسباب ولكننا نتفق معهم في النتيجة.

وعندما ندرس الشفاعة في القرآن وبعيدا عن بعض الأحاديث التي تعارضه نجدها كما يلي:

١- لا يمكن لأي أحد ولو كان هو سيدنا رسول الله أن يشفع لأحد من غير إذن من الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ (البقرة:٢٥٥).

٢- ولا يمكن أن تتم الشفاعة إلا برضاء الله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ﴾ (الأنبياء: ٢٨).

٣- وأحيانا تتم الشفاعة ولا تنفع إطلاقا: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ (المدثر: ٤٨).

٤- تجارب الشفاعة أثناء نزول الوحي ومحاولة الرسول للشفاعة:

ذهب جماعة من الصحابة إلى رسول الله (ﷺ) وقالوا: يا رسول الله اشفع لآبائنا واستغفر لهم (وكان آباؤهم من المنافقين والمقصرين في الخروج مع الرسول للحروب) ولأن الرسول (ﷺ) كان بالمؤمنين رؤوف رحيم، فقد رفع كلتا يديه إلى السماء وظل يقول: اللهم اغفر لفلان وفلان واجعلني شفيعا لهم عندك، فنزل عليه قول الحق تعالى: ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ (التوبة: ٨٠).

فعاد هؤلاء الصحابة إلى رسول الله (ﷺ) وقالوا: يا رسول الله زد علي السبعين، فقال: والله لو علمت أني لو زدت على السبعين لغفر لهم لزدت، ولكني علمت أنه لن يُغْفَر

لهم، ويجب التذكير بأن عدد السبعين في القرآن عددا نهائيا يحتمل الملايين والنتيجة واحدة: لكن لا بد للقارىء الكريم أن يعلم أن هؤلاء الذين رفض الله تعالى شفاعة الرسول فيهم كانوا يصلون خلفه ويصومون مثل باقي الصحابة، وينفذون شعائر الإسلام كاملة، ولكنهم لم يكونوا مخلصين لقضايا الإسلام الكبرى.

٥- كان الرسول (ﷺ) يحب عمه أبا طالب حبا كبيرا، وقبل موته ذهب إليه ورجاه وبكى عنده لكي يسلم، ولكنه رفض، وعاد النبي حزينا إلى بيته، فنزل قول الله تعالى: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ (القصص: ٥٦)، وتم رفض شفاعة الرسول لعمه لكي يموت مؤمنا.

٦- يقول الرسول (ﷺ) لفاطمة ابنته: "يا فاطمة اعملي فإني لا أغني عنك من الله شيئا"، أي أن شفاعته لن تنفع ابنته بدون عمل، هذا درس لو يستوعبه المسلمون لحصلوا على السعادة في دنياهم ودينهم.

٧- لكي لا يحدث لبس أقول: إن الشفاعة مكفولة للنبي (ﷺ) ولكل الأنبياء وللوالد مع ابنه والعكس، وللصالحين مع أقوامهم ولكنها لا تنفع إلا باستحقاق المشفوع له بها، أي لا بد أن تكون مستحق الشفاعة حتى يأذن الله لك بها.

٨- ترك العمل الجاد في الدنيا والدين، وانتظار الشفاعة خطر كبير على من يفعل ذلك، لأن الشفاعة تحدث بعد أن توفي النفس المخطئة حظها في جهنم يقول الرسول (ﷺ) فيما رواه الإمام مسلم:

"إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار حينئذ يؤذن بالشفاعة، فيخرج الناس من النار على هيئة أضابير [قوالح محترقة] أو [مخلفات عيدان محروقة] فيجمعون ويلقون في نهر الحياة، فتنبت فيهم الحياة كما تنبت النبتة في مجرى السيل ..."

السؤال: لماذا لا نستغل رمضان ونتعلم منه التقوى التي تمنع عذاب الله عنا؟ فالشفاعة

حقيقة للنبي ولغيره في القرآن والسنة ولكنها تأتي بعد أن يُوَفَّى الإنسان حقه، ومن منا يرضى أن يحترق جسده حتى يصبح مثل [القولحة التي تُوضَع في الشيشة﴾؟ نسأل الله تعالى النجاة من غضبه وعذابه.

هيا نستعد.. هيا نلحق بركطب الايمان في رمضان: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ (الأنبياء: ٤٧). هنا لا تجد أي استثناء للشفاعة كما يحلم الحالمون!!

***

الطمع في رحمة الله تعالى بلا عمل

في البداية لا يمكن لأحد أن يحدد رحمة الله تعالى بالنسبة لغيره، وهي التي نعيش عليها جميعا، وهي سر وجودنا وبقائنا، إلا أننا ونحن نناقش ثمرة شهر رمضان الكريم، ثمرته المنشودة وهي التقوى، نتعجب فأغلب المسلمين يصومون بإخلاص، ويتقون الله تعالى في صيامهم، هذا مما لا شك فيه، ولكنهم لا يحصلون على معامل التقوى، الذي شرع رمضان من أجله، ولهذا أسباب قدمنا منها الطمع في الشفاعة بلا عمل يجعل الإنسان مستحقا لها.

وفي هذا المقال نتحدث عن العامل الثاني، وهو الطمع في رحمة الله تعالى بلا استحقاق، ونناقش بعض الآيات القرآنية التي استند عليها بعض الناس، لجعل الرحمة هي الأساس في العلاقة بين العبد وربه، بصرف النظر عن عمل العبد وسلوكه، وهي كما يلي:

الآية الأولى: قوله تعالى: ﴿وَٱكۡتُبۡ لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِنَّا هُدۡنَآ إِلَيۡكَۚ قَالَ عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنۡ أَشَآءُۖ وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤۡمِنُونَ﴾ (الأعراف: ١٥٦). فبعض العلماء والعامة يأخذون هذا الجزء من الآية وينامون عليه، وأصبحت هذه الآية تبريرا لكل مصر على المعصية، وتداخلت سلوكيات الناس، حتى لا يكاد الباحث المدقق يعرف لها سمات أو ملامح، أو أطر محددة، ولو أكمل أدعياء العلم، وأصحاب المخالفات قراءة الآية كاملة، لعلموا أن الرحمة هنا مقيدة للغاية، وشديدة التعقيد، فالله تعالى يقول: ﴿وَٱكۡتُبۡ لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِنَّا هُدۡنَآ إِلَيۡكَۚ قَالَ عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنۡ أَشَآءُۖ وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤۡمِنُونَ﴾ (الأعراف: ١٥٦). فالرحمة في هذه الآية لا تخص إلا المتقين، والتقوى هي الابتعاد عن

الذنب، وليس الوقوع فيه، لأنها من الوقاية، ثم يأتي ...

الشرط الثاني: ﴿وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ والمال شقيق الروح، والذي يخرجه يتزكى، بمعنى يخرج الزكاة، ويتطهر من الرجس، ومن كل الذنوب.

والشرط الثالث:

﴿وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ ۚ قَالَ عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ ۖ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ (الأعراف: ١٥٦)، فهذه الشروط الثلاث تجعل الرحمة تكون عن استحقاق ونتيجة توبة خالصة ﴿يَتَّقُونَ﴾ وعمل صالحات ﴿وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ وإيمان كامل ﴿هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾، والآيات تعني آيات الوحي في القرآن الكريم، والآيات الكونية في حركة الكون، والآيات الإنسانية، في حركة الإنسان في الظاهر، وحركة جسده من الداخل شاملة حركة الخلايا، وما بين ذرات، وما بالذرات من أجزاء داخلية (نيوتونات – إلكترونات) وهكذا، فالأمل في هذه الآية بلا عمل وتقوي هو ضرب من الخيال المستحيل.

الآية الثانية:

اجتمع الناس حول قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ (الزمر: ٥٣)، ولعب أدعياء العلم وتجار المجون بعقول الناس، حتى رأينا عجائب من سلوكيات بعض المسلمين، لدرجة أن راقصة مشهورة لم تتب عن الرقص وملحقاته، ولكنها كل عام تقيم مائدة الرحمن في رمضان وعليها أشهى المأكولات، ونشر تحقيق كبير عن هذا الموضوع في جريدة الوفد عام ٢٠٠١م، وعندما ذهب الصحافي إليها لاستكمال التحقيق قابله مدير أعمالها وقال له: أن هذه السيدة تسافر في رمضان إلى الأراضي الحجازية (السعودية الآن بعد سرقة الحجاز). وتعتكف في البيت الحرام طوال شهر رمضان، وما زالت السيدة ترقص حتى

الآن، وتعتكف في رمضان، لأنها سمعت من بعض المشايخ: ﴿وَٱصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ (هود: ١١٥)، وفهموا الآية خطأ، وأفهموها ما فهموا.

ولو عدنا إلى الآية في قوله تعالى: ﴿قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ٥٣ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ٥٤﴾ (الزمر: ٥٣، ٥٤)، ورجعنا إلى معظم التفاسير نجد أن هذه الآية وما بعدها لا علاقة لها بالمسلمين البتة، إنما هو باب أمل يفتحه الله تعالى لأصحاب الديانات الأخرى السماوية والوضعية والوثنية، ويقول للجميع مهما أسرفتم في زمن الكفر فتعالوا إلى واحة الإيمان، وادخلوا فيها، ولا تجعلوا ذنوبكم أيام الكفر قيدا في أرجلكم وسدا عاليا يمنعكم من الوصول إلينا.

أ- الآية التالية لهذه الآية، وهي قوله: ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ (الزمر: ٥٤)، يعني الله تعالى يخاطب أناسا غير مسلمين، وفي الآية الأخيرة من هذه المجموعة يقول: ﴿بَلَىٰ قَدۡ جَآءَتۡكَ ءَايَٰتِي فَكَذَّبۡتَ بِهَا وَٱسۡتَكۡبَرۡتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ (الزمر: ٥٩)، وهذا الكلام لا يُقال لمؤمن أو مسلم، ولكي تتضح الصورة سأنقل هذه الآيات كاملة:

﴿قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ٥٣ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ٥٤ وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحۡسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ بَغۡتَةٗ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ٥٥ أَن تَقُولَ نَفۡسٞ يَٰحَسۡرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُّ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ٥٦ أَوۡ تَقُولَ لَوۡ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِي لَكُنتُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ٥٧ أَوۡ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلۡعَذَابَ لَوۡ أَنَّ لِي كَرَّةٗ فَأَكُونَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٥٨ بَلَىٰ قَدۡ جَآءَتۡكَ ءَايَٰتِي فَكَذَّبۡتَ بِهَا وَٱسۡتَكۡبَرۡتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٥٩ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم

مُّسۡوَدَّةٌۚ أَلَيۡسَ فِي جَهَنَّمَ مَثۡوٗى لِّلۡمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾ وَيُنَجِّي ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ بِمَفَازَتِهِمۡ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٦١﴾ (الزمر: ٥٣-٦١)

يجب ترك أوهام بعض الناس، والسير السريع نحو مرضاة الله والاستماع إلى قوله (ﷺ): "أيها الناس إن لكم نهاية فانتهوا إلى نهايتكم، وإن لكم معالم فانتهوا إلى معالمكم وليأخذ العبد من نفسه لنفسه، ومن الشيبة قبل الكبر، ومن الحياة قبل الممات، فوالذي نفسي بيده، ما بعد الموت من مستعتب وما بعد هذه الدار من دار إلا الجنة أو النار".

***

لعلكم تتقون

يقول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ (البقرة: ١٨٣).

في الآية عدة قضايا طُمِست بسبب انصراف الأمة عن القرآن وهجره، واستبداله بأقوال المفسرين، وبعضهم بريء مما نُسِب إليه ولكن كثر الدس أثناء الطباعة، ونحن قوم لا يعقلون.

× **القضية الأولى:** إن الصوم في هذه الآية نظام واحد، وشريعة واحدة منذ آدم عليه السلام إلى يومنا هذا، وهو الامتناع عن الأكل والشرب والنكاح من وقت ظهور الفجر الصادق إلى بعد غروب الشمس، وعندما ننظر إلى صيام أهل الكتاب بأشكاله، وأوقاته، فلا بد أن ندرك أن هذا الصوم تغير بسبب تحريف علماء الدين نفسه، وأن هذا الصوم لم يفرض من الله تعالى. وتحريف العلماء للدين موجود في كل الأديان ويزاد كلما ابتعدنا عن منبع الرسالة وجوهرها، وكثير من علماء الإسلام ليس من هذا ببعيد.

إذًا؛ الصوم المعترف به في كل الرسالات السماوية هو الصوم المعروف الآن في الإسلام، إلا أن بعض من يدعون العلم قاموا مؤخرا بمحاولة تحريف هذا الصوم، ومنهم من أباح شرب السجائر في رمضان، وسوف يحاول غيره إباحة شرب الماء، وهكذا.

ووحدة الصوم في كل الأديان تؤخذ من قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ (البقرة: ١٨٣)، أي كما فرض على الذين من قبلكم، وفي دخول [ك] التشبيه علي الموصول إما جزم بعدم تغير الصيام.

× **القضية الثانية** ﴿لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾

أي أن الصيام كتب على جميع البشر لتدريبهم على التقوى، فالحقيقة الرائعة أن المسلم إذا صام رمضان صامه بالفعل، وصدق في صومه، وبقى صائما من الفجر إلى

غروب الشمس بسبب خوفه من الله تعالى، هذه حقيقة لأمراء فيها، وعليه أن يخرج من هذه الحالة الصادقة إلى استصحاب الخوف من الله تعالى طيلة عامه، وعندما يضعف الضمير الإيماني في نهاية العام يأتي رمضان التالي فيجدد الخوف من الله تعالى، وبهذا يظل المؤمن منضبط السلوك صالح في الوجدان حتى يلقى الله تعالى في نهاية الأمر.

× **القضية الثالثة:** النجاح

نعم كل الصائمين ينجحون في رمضان بحفاظهم على صومهم إلا أنهم لا يلتفتون إلى الدرس الأعظم، وهو تعلم التقوى.

وقد بحثت في معظم قواميس اللغة وفي القرآن والسنة عن مدلول كلمة التقوى، فوجدت أن الخلاصة هي: الوقاية، فحينما يقول الله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا النَّارَ﴾ فإنه يقول احذروا أن تصلوا إلى النار، وافعلوا كل شيء يبعدكم عنها، لأنها سيئة للغاية، ولا يتحملها أحدكم مهما كان جبروته، وكانت قوته، أي احموا أنفسكم من النار، أو اصنعوا حماية لأنفسكم منها قبل أن تصلوها، وعندما يقول الله تعالى: ﴿يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ﴾، أي يا عبادي افعلوا كل خير واجتنبوا كل شر لأن غضبي غضب جبار منتقم، ولن يستطيع أحد أن يخلصكم مني، وتقربوا إلي بالصالحات المسجلة وليس بالدعوات المبهمة.

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ معناها اجعلوا بينكم وبينه من الأعمال الصالحة التي ترد غضبه عنكم، ولأن التقوى تحتاج إلى تدريب، فقد فرض شهر الصوم لتدريبنا على التقوى ونحن ننجح فعلا في التدريب ولكن لا ننجح في الهدف من التدريب ومثلنا كمثل الذي يتعلم قيادة السيارة وينجح في التعلم، ولكنه يفشل في قيادة [توك توك].

فنحن نخرج من رمضان وقد تعلمنا الصبر والصدق ولكننا بعد رمضان لا نطبق هذا في حياتنا اليومية.

***

المتَّقى

خرج الحاج عبد العزيز من قريته متجها إلى المدينة وبصحبته ابنه إبراهيم، وكان الهدف من هذه السفرية الحصول على مسكن لإبراهيم في المدينة بعد أن نجح في امتحان القبول في المعهد الابتدائي الأزهري عام ١٩٣٨م. وصل الحاج عبد العزيز إلى المدينة، ووجد سكنا عند أناس طيبيين، مع بعض التلاميذ الذين يجاورون قريتهم. مضت السنون وإبراهيم ينجح كل عام بتفوق على أقرانه، لأنه كان شابا تقيا نقيا، أعطاه الله بسطة في العلم والجسم.

في السنة الخامسة من المرحلة الثانوية والأخيرة، ساقه حظه العسر إلى السكنى في عمارة تملكها أرملة اسمها سميرة تزوجت رجلا غنيا، ولكنها لم تنجب منه أولادا، ولأنها جميلة وقوية البنية وتجيد فنون الدلال والضحك على الرجال ضغطت على زوجها حتى سجل لها العمارة باسمها.

أخذ إبراهيم غرفة يسكن فيها بمفرده، حتى يذاكر جيدا ويلتحق بجامعة الأزهر في القاهرة، ومنذ سكن إبراهيم عند هذه الأرملة، وهي تتلصص عليه من ثقوب في النافذة لتشاهد تفاصيل جسده القوية المنسقة ومن وقت لآخر تنزل إليه بالطعام الشهي، وكان يرد لها هذه المجاملات عندما يعود من قريته، وقد أحضر لها السمن وبيض الدجاج، والفطير، وتوطدت العلاقة بينهما.

إبراهيم يظن أنها علاقة شاب بأمه لأنه كان دائم الصلاة في المسجد وأهل الحارة جميعا يعتبرونه من أولياء الله، ولكن المرأة كانت تنظر إليه باعتباره زوجا في المستقبل وعشيقا الآن، وكان يتملكها الشيطان كل ليلة، وتمنع نفسها عنه بعد أن تعاني من الشوق واللهفة ما تعانيه.

وبدأت تتحرش به بالكلام أولا لتفتح عينه على عالمها المغلق المتأجج بالنار، ولكنه كان

لا يفهم من كلامها إلا القصد الحسن، فبدأت تتحرش به بجسدها، كان تعطيه شيئا من خلف ظهره، وتضع ذراعها العاري على كتفه، أو كانت تستدعيه فتخرج إليه في لباس ضيق أو شفاف ولكنه كان يغض بصره، ومساحة البراءة الكبيرة بداخله تجعله لا يفهم شيئا مما تفعله هذه السيدة.

ذات ليلة رمقته من ثقب النافذة، وهو يبدل ثيابه فجُنَّ شوقها ولبست أجمل ما عندها، ونزلت إليه بعد منتصف الليل وكان يذاكر على لمبة جاز نمرة ١٠ (مصباح كروسين).

نزلت إلى غرفته، وصاحت بأعلى صوت ولما حضر الجيران قالت لهم: كنت آتية إليه لطلب الإيجار فوجدته مغشيا عليه، وحمل الجيران إبراهيم وذهبوا به إلى المستشفى وتم إسعافه مؤقتا، وقبل ظهر اليوم التالي تم قطع إصبعه، وبعد خروجه من المستشفى طلب من أبيه أن يسكنه في سكن آخر، ويكون بعيدا عن هذا السكن، ونجح في الثانوية وذهب لكلية اللغة العربية. وتخرج فيها وعمل إماما وخطيبا في قرية من قرى مصر.

أما بالنسبة لسميرة فقد حسنت توبتها من تلك الليلة، وانشرح صدرها للإسلام وتعمق في قلبها الإيمان، وتزوجت وأنجبت ولكنها لم تنس التقي النقي الشيخ إبراهيم، وظلت تسأل عنه حتى عرفت المسجد الذي يقوم بالعمل فيه، فكانت تصطحب النساء اللاتي لهن ظروف مرضية ونفسية، وتذهب معهن يوم الجمعة إلى المسجد الذي يخطب فيه الجمعة، وتجلس بعيدا حتى لا يراها، وتقول للنساء اسألوه الرقية أو الدعاء لكم، فهو رجل مبارك يبارك الله تعالى به الأرض، ويطهر به العرض.

وبقيت سميرة على هذا الحال عشرين عاما أو يزيد، وبدأ موكب النساء والرجال الذين لهم ظروف خاصة يذهبون إلى الشيخ إبراهيم ويعودون بإذن الله تعالى مجبوري الخاطر، حتى توفي الشيخ إبراهيم وذهبت أسرته إلى القبر في الخميس الكبير [عادة فرعونية]، وإذا بعربة محملة بكل الخيرات تقف عند المقابر وتنزل منها الحاجة سميرة، ومجموعة من النساء.

وكان أبنه أحمد قد رآها في بعض الجمع التي كانت تحضر فيها وتجلس بعيدا، فسألها عن حكايتها مع أبيه، فقصت عليه القصة من أولها لآخرها، فتنهد الشاب وقال رحم الله أبي، لم يقل هذه القصة لأحد، عاش طاهرا ومات طاهرا.

ملحوظة:

هذه القصة تجسد المعنى الوحيد للتقوى الذي أريد أن أوصله إلى القراء، أما بعض علماء الدين فقد اخترعوا للتقوى آلاف المعاني ليس من بينها ما جاء في هذه القصة، أما الذين يظنون أنهم يخطئون والله يغفر فسوف يقابلهم ظنهم يوم القيامة وسيكون عمل كل منهم: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴾ (النور: ٣٩).

رأيت في قناة فضائية شيخا يجيب على سؤال إحدى الراقصات وكانت موجودة على الشاشة: سألته هل لي توبة؟

قال: نعم.

قالت: والماضي!

قال: لا تفكري فيه.

قالت: وهل سأدخل الجنة؟

قال: نعم.

قلت أنا: وهل ورث الشيخ الجنة عن أبيه أو أمه يوزعها على البغايا والعصاه.

***

الذهب المصري

يوجد الذهب في معظم أرض مصر على هيئة كنوز وتماثيل من صنع الفراعنة الذين كانوا يؤمنون بعودة الإنسان مرة أخرى إلى الحياة، وكان كل منهم يكنز لنفسه ما استطاع، ففي القرآن الكريم جاء الحديث عن الذهب المصري في أكثر من موضع.

وعلى سبيل المثال: جاء قوله تعالى في سورة الشعراء: ﴿ فَأَخْرَجْنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾ ﴾ (الشعراء: ٥٧، ٥٨). وفي سورة القصص: ﴿إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴾ (القصص: ٧٦).

ومن هنا أصبح من اليقين الإيماني الجزم بأن مصر تعيش على بحيرة من الذهب فماذا فعل المصريون من عهد الفراعنة حتى الآن بالذهب المصري؟

أ- الفراعنة استخلصوه من الأرض وقاموا بصهره وتخزينه (كنزوه)، وتركوه واختاروا الموت غرقا في البحر دفاعا عن الكفر، ونصرة للظلم. ماذا نقصد؟

ب- المصريون بعد دخول الإسلام إلى مصر، وذكر القرآن لهذه الكنوز اكتفوا بسماع أصوات القراء الجميلة، وكانوا كلما سمعوا هذه الآيات، طربوا بها، وهزوا أكتافهم، وفغروا أفواههم بالتكبير والتهليل - للقارىء - حتى جعلوا القراء يتحولون مع الزمن إلى التغني بالقرآن والتطريب به.

وفي مسابقات القرآن حاليا بالإذاعة والتلفزيون المصري لجنة الامتحان تتكون من أكثر من عضو من القراء وعلماء القراءات، ولكن أهم عضو فيها هو الملحن الأستاذ/ حلمي بكر، الذي يسأل القراء المتقدمين للمسابقة عن استطاعتهم القراءة بنغمة السيكة، أو النهاوند، إلى آخر أنغام السلم الموسيقي العربي، ومن ينجح ينجح إذا وافق

على نجاحه الأستاذ/ حلمي بكر، ومن يرسب يرسب لعدم رضا الأستاذ/ حلمي بكر عن أدائه، وقد جائني كثير من هؤلاء القراء لكي أقوم بالتوصية عليهم لدى الأستاذ/ حلمي بكر، وكنا نعاني أشد المعاناة لكي يسجل القارئ بالإذاعة أو التلفزيون.

إذًا؛ الأمة العربية بريادة مصر حولت القرآن إلى مادة للتطريب، وليست رسالة ما للتغير والتنوير في كل مكان في العالم، ولكن هذا الموضوع شرحه يطول لأنه نادرا ما تجد أحدًا في هذه الأمة غير مسطول بمخدر الجهل والغباء، الحفظ وعدم الفهم حتى أني أتخيل أننا لو أعطينا المجرم صورة حكم عليه بالإعدام، فإنه سيحفظه عن ظهر قلب، ومن ثم يوصله إلى من يقوم بإعدامه دون أن يفهم أو يدرك أن الورقة التي يحملها فيها نهايته.

وأذكر أنني كنت أجلس في سرادق عزاء بجوار رجل اشتهر بالسرقة طيلة حياته، وفي آخر أيامه اكتسب عملا جيدا، وأصبح يحضر المناسبات، المهم أن القارئ المتدرب على (السيكة والنهاوند) كان يقرأ بالآية الكريمة: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (المائدة: ٣٨).

وكلما انتهى من الآية قام الرجل (اللص) من جواري وقال: الله عليك يا مولانا وحياة حبيبك النبي تعيد تاني، فقلت له يا عم الحاج: لماذا تطلب إعادة هذه الآية وفيها إعدامك؟!

قال: كيف؟ قلت له: إذا سرق المسلم مرة قُطِعت يده وفي الثانية: رجله وفي الثالثة: يده، ثم رجله الأخرى في المرة الرابعة، ومن ثم يصبح بلا يدين ولا رجلين، فإن سرق بعد ذلك بمساعدة آخرين، قال علماء الفقه: يُعْذَر، وقال بعضهم: يُقْتَل، فكم مرة سرقت أنت؟

قال لي: لا أستطيع أن أخبرك بالعدد، ربما تعديت الألف مرة.

قلت: وتطلب سماع آية فيها إعدامك؟

قال: أنا أحب صوت هذا الرجل، ولا أفهم ما يقول.

قلت له: لا بد أن تفهم لأننا سنُحاسَب على هذا القرآن الخير بالخير والشر بالشر، وما زال أمامك الباب مفتوحا للتوبة والأوبة، فبدا الحزن الشديد على الرجل؛ فقلت له: لا تحزن فالأمة معظمها مثلك يسمعون ويطربون ولا يفقهون، لدرجة أنهم يردون القرآن ويلغونه، بأحاديث كُتِبت بعد نزوله بمائتين وخمسين عاما ويتمسكون بشرب بول الإبل، ويردون آية في القرآن الكريم ويقوم عالم من علماء الحديث بدلا من أن يرد حديث البول متنا كما قال علماء الحديث القدامى، يقوم بتأليف كتاب عن فوائد بول الإبل، فأمة بهذا الشكل وهذه الشاكلة لن تضيع فيها وحدك ولكنك ستضيع مع الجميع، أمة بهذا الشكل لم تأخذ من القرآن إلا الصوت [السيكة والنهاوند] ولم تلتفت إلى كنوز الذهب الموجودة في مصر.

ج- أما الذين يفهمون القرآن ويستفيدون به، فهم الذين استفادوا به في الغرب، وخرجوا من ظلمة الجهل بنور القرآن، وخرجوا، وهم الذين عرفوا أن مصر تعيش على بحيرة من الذهب، وكانت الحملة الفرنسية هي بداية سرقة ونهب كنوز مصر، ومن بعدها جاء الإنجليز، واستمر النهب والسلب ومن العجيب أنهم كانوا يعتبرون ذهب مصر وكنوز مصر ملكًا لكل أوروبا فكنت تسمع عن بعثة بلجيكية، وبعثة إيطالية وبعثة دنماركية، للبحث عن الآثار أثناء وجود الاستعمار الإنجليزي في مصر، وكان إنجلترا كانت حامية لكل لصوص أوربا لسرقة كنوز مصر التي ادخرها الله لشعبها الشريف المسكين.

د- بعد قيام الثورة خرج الإنجليز من مصر ولكنهم تركوا وراءهم لصوصا من أبناء مصر دربوهم وعلموهم، كما فعلوا في كل بلد عربي احتلوه وتركوه، واستمرت سرقة الذهب وتسفيره للخارج تحت غطاء البحث عن الآثار، وتبادل الثقافة والمعرفة اللصوصية، ومع هذا بقي الذهب في مصر بكميات كبيرة لو تستغل الآن ويقوم على شأنها هيئة نزيهة، لو

تم هذا لأصبحت مصر من البلاد الغنية بعطاء الله تعالى المدخرة.

٥- فانتزيا - تسالي: ذات مرة كنت أتابع العمل في أحد المعاهد الأزهرية في قرية من قرى الساحل الشمالي لبحيرة البرلس، وهذه القرى هي آخر مكان يسكن فيه مصري لأن بعدها مباشرة البحر الأبيض المتوسط، يفصل بينها وبينه الطريق الدولي الجديد، الذي يصل المملكة المغربية غربا بتركيا شرقا مرورا بإسرائيل (وهذا أهم ما في الموضوع) ولا يعرف أحد لماذا أو كيف؟ وما سيحدث مستقبلا من فوائد أو من كوارث بسبب هذا الطريق؟

المهم جلسنا لتناول الغداء عند أحد سكان القرية وكان يجلس معنا بالصدفة - بالنسبة لي - رجل يبدو عليه لون وسحنة الأفارقة، وقالوا لي: إنه من السنغال، وهو يعرف الأماكن التي بها الكنوز والذهب في مصر كلها.

كنت لا أصدق هذا الكلام لكثرة ما علمت من النصب والتحايل على الناس، بسبب هذا الموضوع، وبعد تناول الغداء، قلت في نفسي ولماذا لا أستفيد وأعرف شيئا عن الرجل، وسألته: هل أنت تستخرج الذهب من أماكن معينة، أم تعرف خريطة الذهب في مصر؟

فقال لي الاثنان معا، يمكن أن أستخرج الذهب من أي مكان فيه ذهب، ويمكن أن أقول لك على أكثر الأماكن في مصر التي بها ذهب كثير، يصل لدرجة تجمعات الكنوز، أو سلاسل الكنوز.

قلت له: أخبرني عن هذه الأماكن الكثيرة.

قال لي: نحن نجلس الآن على الشاطئ الشمالي لبحيرة البرلس، وتحت شاطئها الجنوبي نفق مملوء بالذهب، يبدأ من بعد مدينة رشيد، وينتهي عند برج البرلسي. والمكان الثاني مركز الدلنجات في محافظة البحيرة خاصة منطقة البستان، والثالث الجرنة - أو القرنة بمحافظة الأقصر وقد هجروا أهلها بحجة أن بها آثار، وتم حفرها وسرقة ذهبها، وكان ذلك في أيام حكم الرئيس مبارك.

وانصرفت وسلمت على الرجل وقلت لنفسي (هذا كلام لا أصل له، وهو نوع من الدجل وبيع الأحلام للناس).

مضت أربع سنوات على هذا اللقاء مع الرجل السنغالي، وذات ليلة دق جرس التليفون في منزلي، فرفعت السماعة، على الطرف الآخر رجل لا أعرف اسمه، ولما سألته عنه أنكره، وقال لي أنا أعرفك ولكنك لا تعرفني، ولن أصرح باسمي لك.

قلت: إذًا؛ ماذا تريد؟

قال: زكاة الكنوز.

قلت: الكنوز ملك للدولة وللشعب، فالدولة هي التي مكفول لها أن تخرج الكنوز.

قال: دعك من هذا الكلام لأن الذين جاؤوا وأخذوا منا الذهب هم من رجال الدولة

قلت: وكيف عثرت على هذا الذهب؟

قال: كنا نعمق دائر مزرعة سمك وفجأة وجدنا الحفار يخرج ذهبا، وبعد فترة حضر إلينا بناء على طلبنا أشخاص مهمون، وأخذوا ما كان عندنا من ذهب، وبعثوا لنا بقطع مقلدة، ووضعناها مكان القطع الأصلية وقمنا بإبلاغ الشرطة وبعد فحصها لديهم كانت النتيجة أنها قطع مقلدة، وبعد فترة أرسلوا لنا المال.

قلت: كم المبلغ؟

قال: ٢٠٠ مليون جنيه.

قلت متعجبا: وكل أقاربك سيقومون بإخراج الخمس من أنصبتهم رغم أن الموضوع بأكمله مخالف للشرع والقانون؟!

قال: أنا أخرج علي وعن أخي، وسأبلغ باقي شركائي، ولهم حرية الاختيار.

لاحظت أن كل واحد من الثلاثة حدد نفس الأماكن التي حدثني عنها ذلك الرجل السنغالي، قرية جنوب بحيرة البرلس، وإلى وقت كتابة هذا المقال، وهناك حديث يتردد بين الناس، بأن الذهب يخرج ويُحَمَّل ليلا ويُسَافر من هذه المنطقة.

أما منطقة البستان بالدلنجات فقد اشتهر بين أهلها هذا الأمر، وأصبحت مشكلة بعضهم تغيير ما يحصلون عليه من ملايين الدولارات وتحويلها الجنيه المصري.

أما منطقة الجرنة فهي معروفة، هجروا أهلها، وتم نهبها.

وبقيت هذه الحقائق:

الأولى: الذهب يكتشف في مصر في كل العصور، ولا أحد يتكلم عنه.

الثانية: تتغير أنظمة الحكم في مصر، وكل نظام يفضح الذي سبقه إلا في موضوع الذهب.

الثالثة: طلب أيام مبارك من محافظ الإسكندرية عمل مترو تحت المدينة لخدمة أهلها، فقال الرجل لا يمكن لأن المدينة تقوم فوق بحيرة من الآثار والذهب، ولو صحت مقولته فهذا الرجل يدخر الذهب لمن؟ ولأي جيل من الأجيال، ونحن نأكل من صدقات الغرب.

الرابعة: كل مكان تذهب إليه في الصحراء فلا بد من موافقة هيئة الآثار وأحيانا لا توافق وهذا مفهوم، أما الذي لا يفهم هو أين تذهب كنوز هذه الأماكن؟!

﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ (الأعراف: ١٧٩).

***

الرضاع والضياع

ذات مساء دُعِيت لحضور صلح عرفي بين رجل وزوجته وصلا إلى الطلاق، ومن ثم كان ذلك سبب حضوري، وهو [الرأي الديني] وكان معي أربعة غيري، نشكل نحن الخمسة لجنة الحكم بين المتخاصمين.

بدأت اللجنة عملها بعد صلاة العشاء، وسألنا الزوج الأستاذ نبيل:

لماذا تطلق زوجتك؟

قال: تزوجتها منذ عام، وكنت أعرف أن لها ابن خالة كانت تحبه ويحبها، ولكنهما لم يستطيعا الزواج بسبب الرضاع، لأن أمها كانت ترضعه وهو صغير دون العامين، وأثناء مرض أختها وبعد زواجي منها، فُوجِئت بكثرة تردد ابن خالتها علينا، وكان يقبلها عند الدخول والخروج بالإضافة إلى جلوسهما متجاورين في كل مكان، فشعرت بالغيرة في بداية الأمر وطلبت منها عدم تقبيله، وأن تكتفي بمصافحته بالطريقة العادية، فقالت لي إنه أخي من الرضاع، ومن الممكن أن ينام بجواري في سريري لأننا أخوة، ولو كان يجوز له أن يتزوجني لتزوجني لولا أني محرمة عليه، فلا تخف من شيء.

وسألنا الزوجة [نجلاء] عما قاله زوجها، فأقرت بما حدث، ووجهت السؤال لي وقالت: يا مولانا إنه مثل أخي، ولو كان غريبا لتزوجته.

قلت لها: يا ابنتي الرضاع يحرم الزواج، ولكنه لا يبيح لك أي شيء مع ابن خالتك، حتى المصافحة، وإن كانت عند بعض الفقهاء جائزة فإني أحرمها عليكما لأنه كانت بينكما عاطفة سابقة قبل معرفة أمر الرضاع، فأي مصافحة ستحمل معها شعورا خال من البراءة.

فقالت نجلاء: إنني سمعت شيخا في التلفزيون يقول لمقدمة البرنامج - حين سألته عن الخلوة بين موظفة وزميلها في العمل- قال لها:

تعطيه صدرها يرضع منه، وبعد ذلك يحل لهما الاختلاط، فقالت مقدمة البرنامج: فإذا لم تكن تحمل لبنا في ثديها وكانت فتاة لم تتزوج بعد؟

فقال لها: يمص ثديها، فعند الإمام أبو حنيفة أن الرضاع يُحرم الزواج ولو بمصة من الثدي.

قلت: يا ابنتي هذا رجل جهول واستند على باطل، وسأحكي لك القصة كاملة وانظري بعد ذلك ماذا ستفعلين؟ ويسمونه حديث سالم، وخلاصته أن امرأة طلبت من رسول الله (ﷺ) أن يأذن لها في دخول خادمها عليها وهي بلباس البيت، وكان هذا الخادم قد تربى عندها منذ طفولته، حتى أصبح ابن الثامنة عشر، شابا يافعا، فقال لها عليك فنادت الشاب فوقع على صدرها، فأرضعته، وبدا يدخل عليها.

كان العلماء يشكون في هذا الحديث، إلى أن قام رئيس قسم الحديث في إحدى كليات أصول الدين بتصحيح هذا الحديث، وهو رضاع الكبير، وأقام القسم حفلة على نفقة رئيس القسم للزهو بهذا الانتصار، وظهر أحد أعضاء القسم في التليفزيون والدعوة إلى تعميم رضاع الكبير في المصانع والشركات، حتى لا تكون هناك خلوة.

وبعد هذا الكلام القبيح هاج المفكرون والعلماء، ورفضوا هذا الكلام رفضا باتا، وقام الأزهر بتحويل هذا الرجل إلى مجلس تأديب، وتم فصله من جامعة الأزهر لسوء أدبه وافتراءه على رسول الله (ﷺ)، ولكن بقي جمع من المغفلين يدافعون عن هذا الحديث، فمنهم من يقول أن الصحابية رضعت في كوب وسقته لسالم، والحديث المكذوب يقول لها أرضعيه ولم يقل اسقيه، وبعضهم يقول: هذه كانت خاصيته لرسول الله والجهلاء لا يعلمون أن الرسول (ﷺ) (لا يأمر بالفحشاء) أبدا مهما كان الظرف.

والقرآن الكريم يجعل الرضاع في عامين فقط من عمر الطفولة، ولا يرتب عليه أي اختلاط ولا مصافحة ولا تقبيل، ولا نوم في سرير واحد، ولا دخول ومشاهدة ملابس

البيت التي يتسامح فيها بعض الناس أحيانا، وجدير بنا أن نستمع للقرآن الكريم قبل أن ننهي النقاش.

﴿ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ ۚ وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ ۗ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ۗ وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ ءَاتَيْتُم بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (البقرة: ٢٣٣).

﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴾ (لقمان: ١٤).

﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ وَخَٰلَٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا۟ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا۟ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ (النساء: ٢٣).

هذا هو القرآن، ولقد قابلت يوما رئيس قسم الحديث الذي صحح رضاع الكبير، في استراحة قناة الحافظ الفضائية، وحدثني عن البطولة التي قام بها في تصحيح رضاع الكبير، فقلت له ولماذا لم تظهر أنت في التلفزيون وتقول هذا الكلام، قبل أن يقوله هذا الرجل العبيط، الذي جعل الكون كله يسخر منا كمسلمين.

قال: هو رجل عبيط واستعجل الشهرة، فقلت أنا أناقشك كعالم، هل الرضاع الحقيقي في عمر (عامين) يجيز الاختلاط ورؤية ما يحرم من جسد المرآة على الغريب؟

قال: لا.

قلت: إذًا؛ كيف يحلل رضاع الكبير الذي لا أصل له في القرآن الكريم الاختلاط ورؤية المحرم من جسد المرأة، قال هذه خصوصية، إلى يوم القيامة، والكارثة أن يتبرأ منكم يومها، وعند ذلك بهت رجل الرضاع وضاع عقله.

نعود إليك يا نجلاء، الرضاع الحقيقي لا يبيح أي شيء مما ذكر زوجك من أفعال مع حبيبك الأول، وأخيك من الرضاع فيما بعد، ثم طلبت ابن خالتها (تامر) وقلت له ملتصقا بها، ناهيك عن حكاية السرير التي قالتها نجلاء.

وهنا دعونا للزوجين بالوفاق والاتفاق وأن يعيشا بدون تامر، وأن يتركا موضوع الطلاق ويبدآن حياة جديدة وسعيدة ومديدة بإذن الله تعالى.

سألني أحد الحضور: لماذا يتصدى بعض الأغبياء لحديث رسول الله (ﷺ) مع أنه أُوتِي جوامع الكلم وكلامه يحتاج أي عقل ذكي ودين أبي؟

قلت له: بعض هؤلاء نزحوا إلى الأزهر من النجوع والكفور، وحفظوا المواد المقررة عليهم حفظا جيدا بدون فهم كما حفظوا القرآن بدون فهم، وطبقت عليهم هذه المعادلة - حفظ - كتب - نجح - وبعد ذلك عين معيدا ثم مدرسا ثم أستاذا، وهؤلاء يعبدون النص (الحكاية الرواية) حتى لو خالفت القرآن وقواعد الدين والعلم والعرف.

وعندما نقدت حديث شرب الإبل، كانت بعض الردود غريبة جدا، فبعضهم قال لي: لقد ألف الدكتور فلان كتابا في هذا الموضوع عنوانه: (المهبول في فوائد شرب البول)، وهذا عالم من علماء علم الحديث المعدودين في مصر والعالم العربي، وألف آخر كتابا عنوانه: (الهبل في فوائد شرب بول الإبل).

قلت في نفسي لو وضع أحد أعداء الإسلام حديثا عن فوائد شرب بول الحمير، ربما ألف أحدهم كتابا بعنوان (الأمير في فوائد شرب بول الحمير)، وهكذا فنحن أمة أفكارها رماد وعواصفها حريق، أسأل الله تبارك وتعالى أن يكفي سيدنا رسول الله (ﷺ) شر

بعض المسلمين الجهلاء الأغبياء لأنه: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (التوبة: ١٢٨).

ربنا لا تؤخذنا بما فعل السفهاء منا..

إن قومي فتية الكهف فمن يوقظ قومي

***

نكاح الجهاد

ترددت مؤخرا في أجهزة الإعلام عبارة نكاح الجهاد، وملخص هذه العبارة أن المقاتلين في سوريا والعراق وليبيا يأخذون معهم الفتيات إلى الميدان، وتقوم كل فتاة بتسليم نفسها إلى أكثر من رجل في اليوم الواحد، وتعتبر نفسها مجاهدة.

هذا ما يردده الإعلام الغربي، والإعلام التابع له في المنطقة العربية، وأنا أشك في حدوث ذلك، لأن الفيديوهات التي تثبت ذلك مفبركة وليس بالأمر البعيد، وقد فعلها الصليبيون أكثر من مرة، وهم أساتذة في تشويه أعدائهم وفي تشويه الشخصيات الكبيرة المخلصة في العالم الإسلامي، وهم الذين نشروا في إحدى الصحف أن الإمام محمد عبده كان ماسونيًا، ولاقت هذه الفكرة رواجًا في عالمنا العربي.

وأنا هنا لا أدافع عن داعش، ولا عن أي فصيل آخر، لأنه ليس لدي معلومات دقيقة عن هؤلاء الشباب، ولا أصدق كل ما يُقَال عنهم، أو منهم، فالصورة غير واضحة على الإطلاق.

ومن الأهمية بمكان معرفة جذور نكاح المتعة أثناء الحروب، لأن هذا الموضوع اختلط فيه الأمر على كثير من العلماء القدامى والمحدثين، فقد ورد في كتب التراث والفقه أن رسول الله (ﷺ) أباح زواج المتعة في أول حروب الإسلام ثم منعه، وكان ذلك رأي عبد الله بن عباس، وهذا كلام غير صحيح، للأسباب التالية:

أ- إن عبد الله بن عباس لم يشهد أي حرب مع رسول الله (ﷺ) ومات النبي وهو ابن عشر سنين.

ب- كان الصحابة يرفضون القول بزواج المتعة لدرجة أن عبد الله بن الزبير هاجم عبد الله بن عباس وهو على المنبر وقال عبد الله بن الزبير: لقد كف الله تعالى بصائر أناس، كما كف أبصارهم يقولون بزواج المتعة، وكان عبد الله بن عباس في هذا الوقت كفيف البصر فقام وقال: أنا أقول بحل المتعة. وهذه الروايات كلها مدسوسة على الثقافة

الإسلامية ولا أصل لها حتى ما حدث بين ابن الزبير وابن العباس.

والسؤال: كيف يحل الرسول (ﷺ) حرامًا، أما ما رُوِي عن قوله للصحابة تمتعوا فهذا موضوع آخر.

كان رسول الله (ﷺ) والصحابة يأخذون معهم النساء إلى ميدان المعارك لعدة أهداف منها: أن يقوم النساء بتشجيع الرجال عند النزول للقتال، ومنها: أن تقوم النساء بإخلاء الموتى، والجرحى وعلاجهم أثناء القتال، ومنها: أن يشعر الرجل بأنه لو قتل فسوف يأخذ القاتل زوجته كغنيمة حرب، فيشتد في القتال، وكان من النساء طبيبات متميزات في علاج الجرحى.

كان الصحابة لا يخالطون زوجاتهم ولا يعاشرونهم أثناء القتال والاستعداد له. ولكن عندما كانت تنتهي الحرب ويفرح المؤمنون بنصر الله كان رسول الله (ﷺ) يقول للصحابة: تمتعوا ويقصد أن يتمتعوا بزوجاتهم، وما ملكت أيمانهم، لأنه يعرف أنهم كانوا لا يفعلون ذلك أثناء الحرب، ومن هنا كان الرسول يأمر بالمتعة التي كانت مقيدة مع الزوجة وملك اليمين ولا يأمر بحرام أبدًا، وقد نقل هذا الكلام بعد ذلك إلى القرون التالية، وفجأة تم تحريف الكلام عن مواضعه.

وقالوا: إن الرسول أمر بالمتعة واتخذ الشيعة من هذا مذهبًا لهم، أما أهل السنة فيقولون بحرمة زواج المتعة، ولكنهم يقولون بحله في أول الأمر وهذا ضلال مبين، وحاشا رسول الله أن يقول بذلك وهو بريء من هذا القول.

فزواج المتعة حرام ولم يحل أبدًا في الإسلام، ونكاح الجهاد إن بني على هذه الفكرة فهو حرام وأشك أن مسلمًا يفعله الآن وأميل إلى اتهام إعلام المؤامرة والتآمر.

بذنوبنا أعطانا الله جهلًا يغنينا عن كل علم.

قال المتنبي: ومن البلية عزل من لا يرعوي عن غيه وخطاب من لا يفهم.

***

حسنية

قالت والدمع في عينيها سبحان من كتب المكتوب: حسنية كانت طالبة درست لها عام ١٩٩١م في إحدى كليات الجامعة، كانت ذكية متدينة، ملتزمة، تنال حب واحترام الجميع.

تخرجت من الجامعة، وتزوجت من شاب يحمل شهادة محترمة (ليسانس الحقوق)، ولكنه لم يجد عملا رسميا، فعمل نقاشا، وظل يعمل في المعمار حتى أنجبت له حسنية أربعة أولاد ولدين، وبنتين.

وقبل أن يرى ابنه الأخير الحياة، لفظ أنفاسه في حادثة سير على الطريق، وبعد شهور عاشت فيها حسنية على مساعدة أهل الخير، خرجت للعمل، ولم تجد أمامها إلا إعطاء دروس لأولاد بعض الأغنياء.

وأثناء تقلبها في الحياة ذهبت إلى بيت أحد القضاة، لإعطاء أولاده دروسا، وتوطدت علاقتها بزوجته، وبدأت حسنية تتعرف على دنيا بعض القضاة، وتعرف شيئا عن مئات الآلاف التي يتقاضونها كل شهر، وبدأت عقيدتها تهتز وتتساءل كيف يعيش أبناء شعب واحد في بلد واحد، بشهادة متساوية، ويحصل أحد الأفراد على قوته بالعافية، بينما الآخر ينفق ببذخ أكثر، وبدأت تتساءل عن حكمة الله تعالى في هذا ولذلك لجأت إلي تسألني؛ لعلها تجد ما يريح ضميرها المعذب.

قالت: عرفت من زوجة القاضي أن دخل زوجها يتعدى المليون جنيه في كل شهر من القضاء، بالإضافة إلى أنه يعمل مع مجموعة من زملائه في العقارات (شراء الأراضي وبناء العمارات).

قلت: يا ابنتي إن بعض القضاة يعملون ويتعبون، وحصول بعضهم على مليون جنيه في الشهر ليس شيئا غريبا في بلد متخلف.

قالت: هذا الرجل بالذات لا يعمل في مجال القضاء بشكل يستحق عليه هذا الأجر، لأنه يبذل جهدا كبيرا في مجال المِعمار والتجارة في أي شيء.

قلت: هذا لا يعتبر قاضيا ولا يعرف شيئا عن العدل، رغم أنه موظف في وزارة العدل.

قالت: قلت لزوجته هذا فقالت لي هذه أرزاق قسمها الخلاق من الأزل.

قلت: هذا دجل ونصب وتحايل لأننا نؤمن بأن الله يقسم الأرزاق ويوزعها ولكننا لا نعرف حقيقة هذا التقسيم وكم يأخذ فلان من الناس، ولكننا نعلم أن تقسيم الحق سبحانه وتعالى يقوم على العدل.

قالت: ولكني تعلمت من زملائك بالجامعة، أن الله تعالى يفعل كل شيء: الخير، والشر، ضيق الرزق وسعته، وأن الإنسان ليس له من عمله إلا الكسب، وهو قيام الفعل به.

قلت: هذا مذهب فاسد، أدى إلى تخلف العرب، والمسلمين، وهذا سر اهتمام العالم الغربي بهذا المذهب وبالذين يقولون به، لأنه يدمر الحضارة الإسلامية، حين يرفع مسؤولية الإنسان عن أفعاله، ويجعله قشة في مهب الريح.

قالت: فلماذا يُرْزَق بعض الناس بالملايين وبدون عمل، ولا يُرْزَق الآخرون مثلهم؟

قلت: الله تعالى تكفل بأرزاق العباد جميعا، وأمر بتوزيع الموارد بالعدل، وحبب إلى الأغنياء فعل الخير وأن الذي ينفق يجعله مثلا أعلى لسبعمائة منفق أو يزيد، أما الذين يكسبون بدون مجهود فهؤلاء نصابون ومحتالون، ولصوص، يسرقون أرزاق الناس، بحجة أن الله اصطفاهم بهذه الأرزاق.

قالت: تريد أن تقنعني بأن الله تعالى لم يكتب علي الفقر أنا وأولادي؟

قلت: الذي يكتب عليك الفقر أنظمة فاسدة ولصوص يسرقون أرزاق الناس، بأساليب يعجز الشيطان عن فهمها، ويتعجب من فاعلها.

قالت: إنني أكسب من عملي ألف وخمسمائة جنيه، وأحلم بأن أكسب ألفين في الشهر وسيكون هذا فتحا مبينا، ولكني قرأت في جريدة الأخبار بتاريخ ٢٠١٥/٢/١٩م الصفحة

الثالثة تحت عنوان: مجلس الدولة: الحد الأقصى للأجور لا يسري على القضاة وأعضاء النيابة. وفي التفاصيل: أفتت الجمعية العمومية بقسمي الفتوى والتشريع، بعدم جواز تطبيق الحد الأقصى للأجور.. (٤٢٠٠٠) اثنان وأربعون ألف جنيه على أعضاء السلطة القضائية والنيابة العامة، فهل هذا عدل في بلد فقير مثل مصر؟

قلت: بعض القضاة يصلون إلى الملايين في كل شهر، ومبلغ (٤٢٠٠٠) سيكون كارثة بالنسبة لهم، مع أنهم يعلمون أن في مصر ٣٪ مرضى بفيروس (C) و ١٠٪ مرضى بالسرطان، و١٥٪ مرضى بالفشل الكلوي، بالإضافة إلى الأمراض الأخرى، وهؤلاء الناس فقراء، ولو لا أن هذا الشعب طيب ومتسامح لاهتز السلام الاجتماعي هزة عنيفة بسبب قرار مجلس الدولة عن الحد الأقصى.

قالت: ألا يخاف هؤلاء من الله؟

قلت: طبعا يخافون من الله ولكن المشايخ قالوا لهم إنه رزق مقدر، ولو طار الإنسان في الهواء لطارت خلفه الملايين التي نهبها من مال الشعب المسكين الحزين، ولا يعلم هؤلاء المشايخ، أن الله تعالى قال عن الذين يكسبون أموالهم بعرقهم (وليس بالنصب) ولكنهم لا يتنازلون عن الشق الأكبر منها للمجتمع: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۗ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ۖ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ (التوبة: ٣٤، ٣٥).

قالت: والمشايخ لا يعرفون هذه الآية؟!

قلت: بعضهم يقرأ ويحفظ، ولا يفهم، وبعضهم يلهث خلف المال ويزين أي كسب على أنه مقدر من الأزل، ومن هنا فلا فائدة في بعض المشايخ ولا في وعظهم لأن هذا الوعظ

البعيد عن جوهر القرآن يعتبر عاملا مساعدا في نشر الفساد في بلاد العرب والمسلمين.

قالت: وهل الحاكم مسؤول عن عدم العدالة في توزيع الثروة؟

قلت: نعم مسؤول، ويجب أن يأخذ على أيدي العابثين بالقانون، أو بالسلام الاجتماعي وسوف يحاسب عند الله، ولكن حسابه لن يخفف من حساب الآخرين، وأنا أناشد السيد رئيس الحكومة بإلغاء قرار مجلس الدولة، لأن مبلغ (٤٢٠٠٠) هو مبلغ مبالغ فيه وهو يعتبر كارثة في بلد لا يجد فيه المريض الفقير (سرنجة بلاستيك) في مستشفيات الدولة، وما يحدث تهريج وبلطجة من بعض الفئات لنهب هذا المجتمع الفقير.

قالت: وهل الحكام يجاملون القضاة؟

قلت: بعض القضاة يقدمون لبعض الحكام في البلاد العربية ما يريدون من أحكام وبالتفصيل المخجل والممل، ولكن هناك كثيرا من القضاة الشرفاء، وأعتقد أن هؤلاء سيرفضون تقاضي أي مبلغ يزيد على الحد الأقصى لأنهم لديهم دين وعندهم دم أيضا.

إن العدالة الاجتماعية تقتضي جمع هذه الأموال الطائشة، وردها إلى خزينة الدولة وتعويض الطبقات الفقيرة من المجتمع وعلى سبيل المثال تعويض الفلاحين عن خسارتهم في محصول البطاطس هذا العام بسبب غباء المسؤولين عن التجارة الخارجية من أصحاب الياقات البيضاء والقلوب السوداء والعقول الخرباء واعلمي أن من علامات نهاية الأمم أن يسود فيها (شح مطاع وهوى متبع)، وقد قام الله تعالى بخسف الأرض بقارون وبداره لأنه وصل إلى حد الشح المطاع والهوى المتبع قال تعالى: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ﴾ (القصص: ٨١).

***

الحديث المدسوس

لم تمض الأحداث كما خطط لها الذين دسوا بعض الأحاديث على كتب السنة، بل انتقل ذلك إلى كافة مناحي الحياة.

فالذين أدخلوا حديث "لا يدخل أحدكم الجنة بعمله.." على صحيح مسلم أثناء الطبع كان هدفهم فك الالتزام بين الجزاء والعمل، أي صرف الناس في العالم العربي والإسلامي عن بذل الجهود المطلوبة لتحقيق طاعة الله تعالى والتي تتشح بالإخلاص والورع.

وأصبحت الجنة بعد هذا الحديث تعطى بالصدفة لأي إنسان مهما عمل من سيئات، أو اقترف من ذنوب، فهذا الحديث وحده يرد نصف القرآن تقريبا، لأن القرآن الكريم يحدد في ثلاثة آلاف وثلاثين آية أن الجنة لا يدخلها أحد إلا بعمله الصالح.

وفي هذا المقال نلقي الضوء على ما فعله هذا الحديث في حياة العرب خاصة، لأنه فك الترابط بين العمل والجزاء عليه، ومن هنا تختلف الأمة العربية عن جميع البشر على الأرض في أن العمل يختلف عن الجزاء، وعلى سبيل المثال:

- إذا كانت الجنة لا تدخل بالعمل "لا يدخل أحدكم الجنة بعمله ..." فإن المرتب لا يقبض بالعمل ومفاد هذا (لا يقبض أحدكم مرتبه بعمله)، ولذلك نجد أنه في دول الخليج تُقَدر مخصصات للأسرة الحاكمة الجاثمة على صدر الدولة والمسلمة لثرواتها لأعداء الإسلام - تُقَدر لهؤلاء مخصصات ولمن يدور في فلك هذه الأسرة، أو من يساعدها على سرقة ثروات شعبها - تُقَدر لهم مخصصات لا علاقة لها بالعمل، أو بالإنتاج، ويتم قبض هذه المبالغ شهريا، دون النظر إلى تسجيل أي ساعة عمل، بل إن هؤلاء الموظفين المحظوظين يسافرون إلى كل بلاد العالم بحثا عن المتعة، والتمتع بما يُتَاح، وينتظرهم السماسرة في هذه البلاد، ويأخذون أموالهم بلا حساب على العمل والجزاء.

وفي سنة ١٩٧٥م كان عدد الموتى من الجوع في الصومال المسلم وجنوب السودان ودارفور بالسودان ودول إسلامية كثيرة يربو على مليوني جائع وكان إطعام هؤلاء يحتاج إلى (٧٠) سبعين مليون دولار.

- في مصر لا علاقة للمرتب بالعمل، فالموظف يعمل خمسة أيام في الشهر، أي يذهب لعمله دون عمل، ومع ذلك مرتبه مقدس، وكثير من الموظفين يمارسون أعمالا أخرى، ويترتب على هذا ضياع مصالح الناس، وإهدار الثروة القومية، ويتضح ذلك من هذا المثال نفرض أن الموظف أي موظف سيتعامل مع خمسين فردا من أفراد الشعب، وغاب عن عمله، أو حضر ولم يعمل، فإن هؤلاء الأفراد سيعودون إلى بيوتهم في نهاية اليوم دون قضاء حاجة في عملهم.

ويترتب على ذلك أنهم أنفقوا في السفر على الأقل ٢٥ جنيها، بالإضافة إلى تعطلهم عن العمل في هذا اليوم، وهو يساوي مائة جنيه، فتكون الخسارة في السفر والتعطل: ١٢٠ × ٥٠ = ٦٠٠٠. أي ستة آلاف جنيه ضيعها هذا الموظف في يوم واحد أضف على ذلك نقص إنتاج الخمسين، مخصوما من إنتاج الوطن بما يعادل (١٠٠٠٠) عشرة آلاف جنيه، بالإضافة إلى حالة الإحباط واليأس التي سيعود بها هؤلاء دون قضاء حاجة وهي ربما تأتي لهم بأمراض، أو لبعضهم ويعالجون بأموال طائلة هذا إذا كان عندهم شعور بالوقت، وحسبوها كما سبق، أما إن كان في ضياع الوقت تسلية وترفيها فلا بأس.

ومن ناحية أخرى في بعض الهيئات الدينية - مثل الأوقاف - يتقاضى الإمام راتبه من أجل أن يؤم الناس، ويعلمهم الدين وهو مسؤول عن ربط العمل بالجزاء عند الناس، ومن حسن حظه أنه يتقاضى راتبا لكي يؤدي الصلاة، وليس هناك أفضل من ذلك في العالم، ولكن المحقق أن تسعة وتسعين في المائة منهم لا يذهبون إلى المسجد الخاص بهم إلا يوم الجمعة، وربما يندبون غيرهم لأداء الصلاة، ولكنهم لو شعروا، إن راتبهم سينقص جنيها واحدا لقاموا بعمل وقفة احتجاجية، ومظاهرة أمام الوزارة، ويقوم الوزير برفع

رواتبهم مكافأة، لأنهم لا يعملون، ولأن الراتب لا علاقة له بالعمل مثل الجنة تماما وهذا ما جنيناه ببعدنا عن القرآن الكريم.

وفي الجامعات هناك أساتذة لا يذهبون، ولا يبحثون ولا يدرسون إلا بعض كلمات ممجوحة لا تساوي شيئا، لكنهم يرقون إلى كل المناصب لأنهم مهذبون مع رؤسائهم مساندون لنظامهم، يبذلون جهدا كبيرا للتلفيق والتوفيق ومن هنا يحصلون على ضعف مرتبهم، لأن الراتب لا علاقة له بالعمل الشريف.

وعند بعض رجال الأعمال يمكن أن يكون ثروة طائلة دون عمل يكفي أن يعرف الطريق إلى بعض أصحاب النفوذ، وتحصل على ثلاثة آلاف فدان على طريق مهم من أجل الزراعة، سعر الفدان له خمسين جنيها على خمسين سنة، وتقوم بزراعة مساحة صغيرة، وتستخرج رخصة بناء قصور وفلل، وتبيع المتر بستة آلاف جنيه، فيكون سعر الفدان على الدولة – مال الشعب الفقير ٥٠ جنيها – وسعر الفدان لهذا الفهلوي الواصل (٢٤) أربعة وعشرين مليونا من الجنيهات وذلك لأن الثروة لا تترتب على العمل كما في جميع دول العالم، إنما تؤخذ بالصدفة والفهلوة، كما يدخل الناس الجنة بلا عمل.

ومثل هذا الرجل فعلت إحدى الراقصات، وحصلت على مزرعة من ألفين فدان، وبدأت تبني فيها القصور وتفعل كما فعل، ترى ماذا دفعت؟ ولكن الثروة في بلادنا لا علاقة لها بالعمل، ومع هذا هناك رجال أعمال شرفاء يعملون الليل والنهار معتقدين أن العمل هو أساس الثروة، ولكنهم صامدون صابرون في انتظار أن تستقيم الأمور.

هذه أمثلة قليلة تفتح للشباب بابا للبحث بعد سقوط الأمة وهو قريب، ولكنهم إذا اهتدوا بالقرآن الكريم وبالسنة التي لا ترده ولا تعارضه فربما يستطيعون القيام من الوهدة الذليلة، والرقدة العليلة، وينهضون بأمتهم مرة أخرى وإنني أقدم عناوين فقط، لمن يريد أن يعمل ويبحث، ولكن الجهد كله سيكون على الشباب، وحالي مثل غراب يصيح فوق سفينة توشك أن تغرق.

ولم يقف فك التلازم بين العمل والجزاء عند انهيار الاقتصاد، والصناعة، والزراعة في الأمة العربية بل تعداه إلى السلوك والاعتقاد، ففي أحد برامج التليفزيون سأل المذيع إحدى الراقصات:

كيف تقضين شهر رمضان؟

قالت: أقضيه معتكفة في الحرم بجوار الكعبة الشريفة.

قال: علمت أنك تعملين مائدة للرحمن في رمضان.

قالت: نعم من أجل إطعام الفقراء أفضل طعام.

قال: معنى ذلك أنك لا تتركين فرضا في الصلاة.

قالت: أصلي أحيانا ولكنها صلاة قليلة وربما أقضي شهرا كاملا لا أصلي بسبب العمل والحفلات والشرب فيها.

قال المذيع: إذًا؛ أنت مقصرة وفعلك للخير ربما لا يدخلك الجنة كما تريدين.

قالت: ومن قال لك أن الجنة لا تدخلها إلا بالعمل؟ إننا سندخلها برحمة الله تعالى وأنا أحب الله من كل قلبي.

ما بين ضال المنحنى وظلالـــــــه ضل المتيم واهتدى بضلالـــــــه

نحن كائنات بلا كون ووجود بلا عله نحن لغز معجز لا تستطيع الجن حله.

***

البعد عن القرآن الكريم

من أهم أسباب سقوط الأمة العربية البعد عن القرآن الكريم، وعن معناه وأهدافه ومقاصده، أما من ناحية الألفاظ فكثير من الناس يتبركون به، ويتغنون به، وهذا ما تفعله الأمة من ألف سنة، التبرك، والغناء، أما العمل بما فيه، فقد استغنوا عنه ببعض الأحاديث والروايات التي إن صحت سندا، لم تصح متنا لأنها تعارض القرآن الكريم. وسوف نقوم ببيان كل ذلك في المقالات التالية، ﴿إِذْ أَنتُم بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُم بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَىٰ وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ ۚ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ ۙ وَلَٰكِن لِّيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ ۗ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (الأنفال:٤٢)، ونبدأ بما يلي:

حين بعث الله تعالى نبيه (ﷺ) - على فترة من الرسل - أنزل إليه القرآن بالمشافهة الكاملة بواسطة الأمين جبريل، وكان الأمين جبريل يراجع القرآن مع رسول الله (ﷺ) كل عام في رمضان لكي يطمئن أنه لم يسقط لفظ واحد أو حرف واحد من القرآن الكريم، وكان رسول الله (ﷺ) بعد فراغه من تلقي الوحي، يرسل في طلب كتاب الوحي الستة - رجال من الصحابة - أو أغلبهم ويملي عليهم القرآن الكريم، ويراجعه معهم، ويراجعونه مع بعضهم البعض ويقوم بعض الصحابة بحفظ القرآن في صدورهم ليشكلوا بذلك شكلا آخر للتوثيق، فيكون المسؤول عن توثيق القرآن كما يلي:

١- الله سبحانه وتعالى الذي نزله وحفظه إلى يوم القيامة.

٢- الأمين جبريل الذي يحفظ ما كُلِّف بتبليغه إلى الرسول الكريم.

٣- رسول الله (ﷺ) وكان يحفظه حفظا تاما:

٤- كتاب الوحي الذين كتبوه وحفظوه عن ظهر قلب.

٥- الصحابة الذين كانوا يحفظون القرآن الكريم، وكان يطلق عليهم حفاظ القرآن، وكانوا قلة لأن العمل بالقرآن كان أهم من حفظه عند الأمة وقتها.

وكان رسول الله (ﷺ) يتشدد في النهي القاطع عن كتابة أي شيء غير القرآن، وله أكثر من مائة حديث يقول فيها: لا تكتبوا عني إلا القرآن، وعندما تولى سيدنا أبو بكر الخلافة بعد وفاة رسول الله (ﷺ) ذهب إليه بعض الناس يرجونه كتابة أقوال رسول الله فزجرهم ونهرهم، وقال لا أفعل إلا ما فعل رسول الله.

وعندما تولى بعده سيدنا عمر بن الخطاب أصر على عدم كتابة شيء إلا القرآن وقال: إن القرآن كان يتنزل ويكتب ولكن السنة كانت تقال ولا تكتب، وأنا أخاف من غفلة الرجال، واهتم بجمع القرآن كما كان يفعل سيدنا أبو بكر، وكان هذا الجمع هو جمع الأقمشة والجلود التي كان مكتوبا عليها القرآن، أي جمعها من بيوت رسول الله وجعلها في مكان واحد.

ولما جاء سيدنا عثمان بن عفان إلى الخلافة، كان همه الأول جمع القرآن في مصحف واحد، حتى لا يتدخل الخبثاء وتفتن الأمة بمصاحف متعددة، لأنه وصله أن بعض الناس من المنافقين يقولون أن لديهم مصاحف خاصة بهم، وكان من أبرز أعمال سيدنا عثمان هو جمع القرآن في مصحف واحد وحرق جميع المصاحف الأخرى، وكان هذا المصحف الذي كتبه هو ما نزل من عند الله تعالى على نبيه بواسطة الأمين جبريل، وأرسل نسخًا من المصحف إلى جميع الأقطار الإسلامية وبذلك نراه قد فوت الفرصة على اليهود والنصارى والمنافقين، وأعداء الإسلام من كل صوب وحدب.

وكان هذا هو السبب الوحيد لقتله، لأن أعداء الإسلام لن ينالوا منه شيئًا بعد جمع القرآن المنزل في مصحف واحد، وقد ذكروا لأسباب موته مبررات كثيرة اخترعها أعداء الإسلام، مثل تعيين أقاربه في الوظائف الكبيرة وإعطائهم أموال كثيرة، وهذه خرافات وخيالات وضعها أعداء الإسلام ليبرروا بها قتل عثمان، ويستروا حقدهم وغيظهم من

سلامة القرآن من شرورهم، وفي المقالات التالية سوف نوضح استمرار التآمر على القرآن الكريم حتى اليوم، برغم أنهم لم ينالوا من لفظه لأنه محفوظ بحفظ الله تعالى، إلا أنهم نجحوا في النيل من معانيه حتى حيدوه وأخرجوه من دائرة الفعل إلى دائرة الحفظ، المهم أن سيدنا عثمان لم يأذن لأحد بكتابة شيء غير القرآن حتى انتقل إلى ربه الكريم.

وتولى سيدنا علي بن أبي طالب بعد سيدنا عثمان، واجتهد في نشر مصحف عثمان في كل مكان، ورفض التصريح لأحد بكتابته السنة، وحينما تولى سيدنا معاوية بعد مقتل سيدنا علي رضي الله عنه، كان اهتمامه بالقرآن ولا شيء غيره، لأنه كان من كتاب الوحي، ورفض تدوين السنة، وفعل مثله سيدنا يزيد بن معاوية، ولذلك قام أعداء الإسلام بكتابة التاريخ بأهوائهم وحاولوا تشويه صورة هؤلاء العظام، لأنهم لم يستطيعوا الوصول إلى القرآن وتحريفه بسبب حفظ الله تعالى أولا وحرص هؤلاء الكبار الكرام على القرآن الكريم.

ونصل إلى عهد عبد الملك بن مروان لنرى بداية تدوين السنة بعد عشرات السنين من موت رسول الله (ﷺ) وفي المقالة التالية سنوضح كيف انصرفت الأمة إلى السنة تاركة خلفها القرآن الكريم، ومن العجب أنهم يطلقون على معظم المسلمين أهل السنة، وليس أهل القرآن ويقول ابن الفارض:

مابين ضال المنحنى وظلاله ضل المتيم واهتدى بضلاله

***

تدوين السنة

بعد استشهاد ثلاثة من الخلفاء الراشدين بسبب دفاعهم عن القرآن، وعدم السماح بكتابة شيء غيره، وكانوا يعرفون أن هناك أحاديثًا صحيحة بل كانوا يحفظونها، وكان بعض الصحابة يكتب لنفسه حديثًا أو أكثر ويحفظ الكثير من الأحاديث الشريفة.

ونحن هنا لا نشكك في السنة ولا في أهميتها، ولكننا نقول أن القرآن الكريم تم رده، وتحييده عن طريق الأحاديث التي وضعت في كتب السنة أثناء طبعها، وهي تحمل نفس أسانيد الأحاديث الصحيحة، وتم إقناع الأمة بهذه الأحاديث التي وضعها أعداء الإسلام، وسارت عليها الأمة وكانت هذه الأحاديث ترد القرآن كله.

ولكن بعد قفل العقل العربي - بما يسمى منع الاجتهاد - تم قبول هذه الأحاديث حتى من المتخصصين باعتبارها في صدق القرآن أو بعده بدرجة، وسار علم الحديث عبارة عن حفظ أو نقد للسند، وتم قفل باب النقد للمتن، وتم هذا طبعًا بإيمان طاهر وحسن نية قاهر، ولكن هذا تسبب في كوارث سنشرحها فيما بعد.

المهم أن الخلفاء الثلاثة الشهداء كانوا يعرفون أبعاد المؤامرة، ورفضوا رفضًا باتا كتابة أي شيء غير القرآن، وكان تصرفهم هذا من حفظ الله تعالى للقرآن وإبعاده عن التحريف، كما حدث للكتب السابقة، وسطعت شمس القرآن على العالم ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (البقرة: ٢) ولكن أعداء الإسلام لم ييأسوا وحاولوا الوصول إلى هدفهم من طريقين:

الطريق الأول: هو إدخال أحاديث غير صحيحة على الكتب الصحيحة بسند صحيح.

الطريق الثاني: اغتيال معاني القرآن الكريم بعيدًا عن الأغراض والأهداف التي أنزل من أجلها.

نعود إلى تدوين السنة، قبل نهاية القرن الأول كلف أحد أمراء الدولة الأموية، الإمام مالك بن أنس بجمع مجموعة من أحاديث رسول الله (ﷺ) لكي تنتفع الأمة بهذه الجواهر المكنونة الموجودة في السنة الشريفة.

قام الإمام مالك رضوان الله عليه بجمع مائة ألف حديث - كما يقول في مقدمة كتابه الموطأ - وعكف عليها ست سنوات، فلم يطمئن قلبه وعقله ودينه إلا إلى ٥٠٠ خمسمائة

حديث، فقط خمسمائة حديث. وتم نسخ الموطأ وأرسل إلى جميع الأقطار الإسلامية، واجتمعت الأمة عليه.

والجدير بالذكر أن أحدا لم يقل: إن الإمام مالك مخطىء أو كيف يرفض مائة ألف حديث، ولا يرضى إلا عن خمسمائة فقط، وعندما حاول بعض العلماء مثل الشيخ الألباني بنقد ٢٤ حديث في البخاري و١٥٦ في مسلم قامت الدنيا ولم تقعد وعندما حاول الشيخ محمد الغزالي نقد الأحاديث التي تضر الدين وترد آيات من القرآن ولا يمكن أن يكون قد قالها رسول الله (ﷺ) ولا الإمام البخاري نفسه يرضى عنها رغم أنها دست على صحيحه عندما قام الشيخ محمد الغزالي بذلك تعرض لحملة من النقد يقودها بعض الجهلة أو بعض الجواسيس المدسوسين على هذه الأمة.

في منتصف القرن الثالث الهجري قام الإمام البخاري بجمع مجموعة من الأحاديث بلغت نصف مليون، وفي قول آخر ثلاثمائة ألف حديث وفي قول ثالث مائة ألف حديث وقام بوضع شروط لها في صحة السند والمتن.

ومن بعده جاء الإمام مسلم، وفعل كما فعل الإمام البخاري، وزادت أعداد كتاب السنة وجامعيها وكلهم أئمة محترمون وأجلاء وفضلاء نسأل الله لهم القبول، إلا أنهم ماتوا جميعا ولم يحضروا نسخ كتبهم أو طبعها، وبعضها جاء المخطوط الخاص به من عند مستشرقي هولندي، وطبع في مطبعة أحد النصارى في بيروت وكل كتب السنة طبعت في هذه المطبعة.

واستطاع أعداء الله وأعداء القرآن دس بعض الأحاديث القليلة التي ترد القرآن كاملا ولا تترك منه شيئا، لذلك نناشد أخواننا من علماء الحديث مراجعة الأحاديث متنا على ضوء ما في القرآن الكريم وعدم الاغترار بالسند لأن تركيب سند صحيح على متن غير صحيح أمر في غاية البساطة.

سؤال: ما موقف علماء الحديث القدامى مثل الإمام البخاري وغيره رضوان الله عليهم جميعا؟ هؤلاء كانوا رجالا عظامًا وضعوا قواعد لرد الحديث وعدم قبوله، أهم هذه القواعد وأشهرها: القاعدة التي تقول لا يصح الحديث مهما كان مصدره إذا عارض القرآن الكريم أو آية منه ولو ظاهرا، وبذلك نجوا من عذاب الله تعالى ودخلوا في رحمته، لأنهم أغلقوا الباب على أعداء الإسلام من غير المسلمين، وعلى المغفلين من المسلمين الذين يهرفون بما لا يعلمون.

ما بين ضال المنحنى وظلاله ضل المتيم واهتدى بضلاله.

إشاعة الفاحشة

ذات مساء أحد أيام عام ١٩٨٠م، اصطحبت زميلا لي في الجامعة بإحدى المدن لشراء بعض الأقمشة الصوفية لزوم مقاومة برد الشتاء. وكان الجو شديد البرودة، إلا أن السماء كانت صافية علي غير عادتها في شهر يناير من كل عام.

ركبنا الحافلة، وكنت أنظر من نافذتها إلى انعكاس ضوء القمر وتلألؤ النجوم في السماء على ضوء مصابيح الشارع، كانت أشعة القمر تشبه خيوط فضية تغوص في أعماق من يشاهدها، وتعطيه تفاؤلا وعشقا للحياة.

وبدأت بذكر الله تعالي، وكانت حالتي الروحانية أفضل مما أنا عليه الآن بكثير، وكان مرافقي كثير الذكر أيضًا، رقيق المشاعر، وكان يبكي كلما سمع شعرا مؤثرا، أو قولا جاذبا ، إلى أن نزلنا من الحافلة ودلفنا إلي أحد الشوارع الجانبية، ودخلنا محلا كنا نقصده لشراء الملابس الصوفية.

كان صاحب المحل يجلس علي مكتبه منشغلا بأمور كثيرة، ولما اقتربنا منه أشار إلى إحدي العاملات بالمحل لمساعدتنا في اختيار الأقمشة التي نريدها، كانت الفتاة جميلة من أول نظرة وبعد ذلك انصرفت عنها إلي البحث عن نوع القماش الذي أريد.

جاءت الفتاة بأكثر من عشرة أنواع من الصوف وقالت لي اختر ما شئت، وزميلي يحادثها طوال الوقت عن المؤهل والارتباط وأشياء أخري لا أذكرها، والفتاة تضع كلتا يديها تحت القماش من شدة برودة الجو، وهكذا فعل مرافقي.

بدأت أسأل الفتاة عن النوع الجيد والسعر، لكنها توقفت فجأة عن الإجابة فنظرت إليها مليًّا فإذا هي مغمضة العينين، غابت عن الدنيا وخُلت أنها ماتت.

نظرت إلى زميلي فإذا به مصاب بنفس الحالة، فخشيت أن يكون المكان به غاز سام،

فحركت كتف زميلي بعنف وكشفت القماش الموجود بينه وبين الفتاة فإذا هو قد وضع يديه علي يدى الفتاة، وبدأ يعبث بهما حتى غابت الفتاة عن الدنيا.

أمسكت بيدي صديقي وجذبته إلي الخارج وقلت لصاحب المحل المشغول بمحادثة إحدى السيدات: أسف لم أجد ما أريد، وقررت عدم الشراء هذه الليلة.

ركبنا الحافلة عائدين إلي مسكننا لا يكلم أحدنا الآخر، ونظرت من النافذة إلى القمر فوجدت ضوءه ينزل علي الأرض وكأنه خيوط من القطران الأسود، ولم أر أي ضوء حتي مصابيح الشارع.

أدركت أن هذا الظلام نابع من نفسي الحزينة، وليس آتيا إليها من الخارج، وبقيت وزميلي ثلاثة أيام لا نتحدث، إلى أن جاء غرفتي في اليوم الرابع...

وقال لي: لماذا أنت حزين؟

- قلت: مما رأيت منك قبل أيام.

- قال لي: التمتع بالمرأة واللعب والعبث بجسدها لا شيء فيه على الإطلاق.

- قلت: هذا في الزوجة بل هذا مطلوب شرعا معها.

- قال: وفي غير الزوجة مع أي امرأة.

- قلت: كنت معجبا بتدينك مذ عرفتك.

- قال: لم يحدث شيء يجعلك تكرهني، ولكنك معزور بجهلك بالسنة الشريفة.

- قلت: علِّمني السنة.

قال: يوجد حديث في البخاري ومسلم وباقي السنن رواه عبد الله بن مسعود عن رسول الله صلي الله عليه وسلم، يقول جاء رجل إلى رسول الله ﷺ، وقال له: إني قبلت امرأة [في البخاري]. وفي مسلم قبلتها واحتضنتها ولم اترك منها شيء إلا الجماع فأقم عليَّ الحد: [فسكت الرسول إلى أن نزل قول الله تعالي : ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴾ سورة هود الآية ١١٤،

فقال الرجل: هذه لي خاصة ؟

قال رسول الله ﷺ (ولمن بعدك من المؤمنين).

- فقال الزميل: أنا وغيري من حقنا أن نتمتع بجمال النساء طالما نصلي الصلوات الخمس،

- قلت: هذا كلام مدسوس على السنة من أعداء الإسلام.

انتهت قصة زميلي معي وبدأ بحثي في كتب السنة: في كتاب الإمام البخاري ذكر هذا الحديث بلفظ [إني أصبت من امرأة قبلة]، ولكن في كتاب الإمام مسلم وعنده في باب التوبة جاء الحديث بالتفصيل الممل، تكرارا لحادثة واحدة مرات مع اختلاف الزمان والمكان في كل مرة .

(حدثنا عبد الله بن محمد بن عمرو الغزي ثنا الفريابي ثنا سفيان عن ابن مسعود قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ، فقال إني أصبت منها كل شيء إلا الجماع- يعني من امرأة- فأنزل الله: أقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات).

××× أصبت منها كل شيء إلا الجماع، ربما جردها من ثيابها وعبث بكل جزء في جسدها ويشمل ذلك الصدر والفرج، وربما أتاها من الخلف في الدبر، فالعبارة تحتمل كل شيء.

- عن عبد الله بن مسعود أنه قال ﴿جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: إني عالجت امرأة في بعض أقطار المدينة فأصبت منها ما دون أن أمسَّها، فأنا هذا فاقضِ ما شئت! فقال عمر: لقد سترك الله لو سترت علي نفسك !

قال: ولم يرد النبي ﷺ شيئًا. فقام الرجل فانطلق فأتبعه النبي ﷺ رجلا فدعاه: فلما أتاه قرأ عليه ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴾.

فقال رجل من القوم: هذا له يا رسول الله خاصة؟

قال: بل للناس كافة

ولفظ الحديث لابن وكيع .

في هذه الرواية تحديد مبهم للمكان [أحد أقطار المدينة] وسوف نراجع ذلك في التعليق، إلا أن الخطير في الأمر أن الرسول في هذه الرواية المكذوبة عليه لم يطلب من الرجل توبة بأي حال من الأحوال- وكما قال مرافقي: الصلاة تكفي في الغفران .

ولكن في هذا الحديث شرح للحديث لا يحتاج إلي التخيل [ضممتها إليَّ وباشرتها وقبلتها وفعلت بها كل شيء، غير أني لم أجامعها]... والذي يوضح كذب وافتراء هذه الرواية، أن الذي يصل مع امرأة إلى هذه الدرجة لا يمكن أن يتركها دون جماع، ولو فعل لقتلته، لأن هذه نقطة لا رجعة بعدها.

﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴾.

عن ابن مسعود قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، إني وجدت امرأة في بستان، ففعلت بها كل شيء، غير أني لم أجامعها، قَبَّلتها، ولزمتُها، ولم أفعل غير ذلك، فافعل بي ما شئت، فلم يقل له الرسول ﷺ شيئا. فذهب الرجل، فقال عمر: لقد ستر الله عليه لو ستر علي نفسه! فأتبعه رسول الله ﷺ بَصَره، فقال "ردُّوه عليَّ! فردُّوه، فقرأ عليه ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴾. (قال: فقال معاذ بن جبل: أله وحده يانبي الله أم للناس كافة؟ فقال: بل للناس كافة).

هذا الحديث يبين أن الرجل وجد امرأة في بستان، والرواية السابقة في أحد طرقات المدينة، وكل الروايات عن ابن مسعود، وهو صحابي جليل لا يمكن أن ينسى أو يكذب، وهو يوضح أن هذه الروايات مدسوسة على صحيح الإمام مسلم عند النسخ، أو الطبع.

××× عن عبد الله بن مسعود قال: جاء رجل إلى النبي صل الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله، أخذت امرأة في بستان فأصبت منها كل شيء، غير أني لم أنكحها، فاصنع بي ما شئت! فسكت النبي صل الله عليه وسلم، فلما ذهب دعاه فقرأ عليه الآية ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴾.

في هذا الحديث أن الرجل أخذ المرأة في البستان، يعني أدخلها بنفسه ولم يقابلها هناك، وفي جميع الروايات السابقة تتعدد الأسئلة من سيدنا عمر بن الخطاب، وسيدنا معاذ بن جبل، والرجل نفسه.

هل المغفرة على كل ما حدث التي توصي بها الآية لهذا الرجل نظرًا لظروف يعلمها الله أم هي لكل المؤمنين- مع أن الذي يفعل ذلك لا يكون مؤمنا بل هو مسلم؟ فيجيب الرسول ﷺ بل هي لكل المؤمنين، ولا يعلَّق ولا يحْطاط لهذا الإطلاق، وحاشاه أن يقول ذلك، ولعن الله الكاذبين المفترين .

نقد هذه الآحاديث من السنة :

في نفس باب التوبة في صحيح مسلم نجد الأحاديث الصحيحة التي تبين كذب ودس هذه الرواية وهي كما يلي :

أ- عن جابر قال رسول الله ﷺ (ألا لا يبيتنَّ رجل عند امرأة إلا أن يكون ناكحا (زوج) أو ذا محرم)- صحيح مسلم جـ ٤ صـ ٧ طباعة دار الفكر ببيروت، وفي هذا الحديث احتياط لمنع وقوع أي خطأ بين الرجل و المرأة .

ب- عن عقبة بن عامر قال رسول الله ﷺ: إياكم والدخول علي النساء... فقال رجل من الأنصار: يا رسول الله أفرأيت الحَمْوَ؟ فقال الحَمْوُ الموت- صحيح مسلم جـ٤ صـ٧ ط دار الفكر ببيروت .

ت- عن عبد الله قال رسول الله ﷺ (لا أحد أغير من الله تعالي، ولذلك حرَّم الفواحش ما ظهر منها وما بطن)- صحيح مسلم جـ٤ صـ١٠٠ ط دار الفكر ببيروت .

لقد جئت بهذه الروايات من السنة لإقناع أناس هجروا القرآن تماما، ولم يعد لهم طريق إلي الله إلا السنة بكل ما أدخل فيها ودسَّ عليها، ونحن أمة القرآن وكتابنا الوحيد المقدس هو القرآن، يشهد بذلك الأعداء والأصدقاء.. أما السنة فما توافق منها مع القرآن فهو من قول الرسول ﷺ هداية ونورًا، وما اختلف منها مع القرآن فهو من دس الأعداء بهتانا وزورًا.

ويجب أن يبقي القرآن الكريم هو مربع الحق للقياس عليه، والسبيل الوحيد الذي يوصل إلى الحق، ولا نتبع السبل فنضل عن سبيل الله.

ولذلك فالذي قام بدس رواية الرجل الذي لم يترك من المرآة شيء إلا الفرج، كان شديد الذكاء والغباء في وقت واحد:

كان ذكيًا لأنه ربطها بسبب نزول آية من القرآن حتي يُضِلَّ المسلمين عن دينهم قرآن وسنة، وكان غبيًا لأنه نسبها لصحابي واحد هو الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود، ومع ذلك اختلف زمان ومكان الحادثة في كل رواية، وأقل المحققين في الشرطة لو عرضت عليه هذه القصة لاكتشف كذبها من أول لحظة.

والعجب كل العجب أن تمر هذه القصة على علماء المسلمين لمدة ألف ومائة عام ولا أحد يفطن إليها، وبعد إنشاء أقسام الحديث وحصول الكثيرين علي درجة الأستاذية فيه، ماذا قدموا للإسلام ولكتب السنة من تمحيص وتدقيق؟

ولكن يبدوا أن الأمر لا يعدو أن يكون عند بعضهم: حفظ المهارة- والخروج للإعارة- وبناء العمارة- وركوب السيارة .

أما موضوع السنة فلا عمل فيه إلا النقل وإذا أردت أن ترجعهم إلى الصح اتهموك (بإعمال العقل) وهو عندهم جريمة تصل إلى الكفر، وأنا أتعجب حين يخرج بعضهم علي شاشات الفضائيات وينقد ما يُقدم في الأفلام والمسلسلات من تقبيل وأحضان ومباشرة ويتهم أصحابه بالكفر، وهو لا يعرف أنه يقر بذلك في صحيح البخاري وصحيح

مسلم وباقي كتب السنة، من أن الإنسان يفعل مع المرأة كل شيء ويكفي أنه يصلي، ولعلم هذا المدَّعي للعلم أن معظم الممثلين يؤدون الصلاة، وبعضهم يذهب للعمرة في كل عام مرتين وبعضهم علي خير، وعلي مذهبكم الصلاة تكفيه. كيف هذا بالله عليكم؟

نقد هذا الموضوع في القرآن الكريم

يقول الله تعالي: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴾سورة الإسراء (٣٢).

وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَنكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُم مِّنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۚ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا ﴾ سورة النساء (٢٢).

يجمع علماء الأمة سلفًا وخلفًا وأصحاب العقول على أن الاقتراب هو المقدمات، وأري أن اتجاه الفعل (لا تقربوا) إلي الفعل (الزنا) يؤكد أن الضمير في (إنه) يعود علي الاقتراب لا على الزنا لأن مباشرة المقدمات (خاصة بالشكل الذي جاء في الرواية المكذبة عن التقي النقي سيدنا عبد الله بن مسعود) تفضي إلى الزنا حتما، وقد رأينا أن الرسول صلي الله عليه وسلم لا يوافق علي دخول الأخ للزوج علي زوجة أخيه حتى لقضاء أمر أو القيام بعمل، وما نتساهل فيه الآن مأخوذ من أفلام السينما لا من الإسلام .

مقدمات الزنا في الآية (فاحشة ومقتا وساء سبيلا) أي ساء هذا الطريق الذي يجعل الرجل يلمس المرأة أو يحتك بها، أو أي شيء آخر من غير رباط شرعي نهائي مثل عقد القران والدخول.

وكل المذاهب الإسلامية تفرق بين عقد القران والدخول، فلا يجوز لمن يعقد قرانه على امرأة أن يفعل بها كما تحدثنا الرواية المكذوبة، ولو فعل هذا ولم يترك شيئًا إلا الجماع لكان ذلك حرامًا، بالنسبة لكرامة الأسرة المرعيَّة شرعا، ويعتبر هذا دخولا تتأسس عليه حقوق شرعية جديدة.

وفي كثير من المذاهب وأهمها مذهب الذين يدَّعون التمسك بالسنة مثل الوهابيينُ والسلفيين وغيرهم الذين يحرمون مصافحة المرأة، أو لمسها بأي شكل.. فلماذا هنا وافقتم علي أن يفعل

الرجل بالمرأة كل شيء إلا الجماع، وبدون توبة ويكفية الصلاة وهناك تجاوزات لبعض المتدينين المتشدِّدين لا داعي لذكرها الآن وذلك لمصلحة الإسلام، وصورته في عيون أعدائه .

في سورة النساء قوله تعالي: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ وبعدها قوله ﴿وَٱلَّٰتِى يَأْتِينَ ٱلْفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمْ فَٱسْتَشْهِدُوا۟ عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ ۖ فَإِن شَهِدُوا۟ فَأَمْسِكُوهُنَّ فِى ٱلْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا﴾ الآيتين ١٤، ١٥ .

في الآية بيان لحدود الله وعدم تعدِّيها. وفي الآية الثانية بيان للمتعديات من النساء وهو الحبس في البيت حتى الموت، هذا بالنسبة لامرأة تباشر امرأة ﴿السحاق﴾ فكيف يُسمح لرجل أن يباشر امرأة وتنزل آية لتبرئته، ويكون ذلك سببا لنزول الآية.

وفي الآية ١٦ ﴿وَٱلَّذَانِ يَأْتِيَٰنِهَا مِنكُمْ فَـَٔاذُوهُمَا ۖ فَإِن تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا۟ عَنْهُمَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ يقول الله تعالي إذا باشر رجل رجلا أي نكحه في الدبر فإن العقاب الإذاء بحكم من القاضي وتنفيذ من الحاكم. فإذا كانت مباشرة الرجل للرجل فيها هذا القدر من العذاب فكيف بمباشرة الرجل للمرأة!

في قضية بنات العبد الصالح حين ذهبتا لسقيا الغنم والإبل كانتا تمنعان غنمهما وإبلهما عن السقيا كي لا تحتك امرأة منهما أو تلمس رجلا، وأرسل الله لهما سيدنا موسى- عليه السلام- فأنجز لهما هذه السقيا وقام بعمل ذلك لمدة ثماني سنوات، رسول يُرسل كي لا تلمس امرأة رجل، هذا هو القرآن المهجور والمتآمر عليه حتى من بعض أهله الأغبياء، الذين ضربوا مثالا في الجهل لم يجد له التاريخ مثيلا .

أما عن الآية التي يعتبرونها نصا في إباحة الفاحشة والعفو عنها، فقد غاب عن الإخوة الذين وضعوا الرواية الكاذبة أنها ليست آية إرشاد وبيان بل هي آية أوامر قاطعة لا تحتاج إلى سبب نزول، وهي قوله تعالي ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَىِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ﴾- فالآية فيها ما يلي:

- أن معني الآية أن المصلي إذا صلي الصلاة المكلف بها تحولت إلي حسنات والحسنات تحولت إلى وقاية من السيئات ﴿ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ﴾ أي المتفهمين أي المفكرين، أي المتدبرين، والدليل علي ذلك أن الفعل [يُذۡهِبۡنَ] جاء بلغة المضارع أي الحال والاستقبال، ولا علاقة له بفعل حدث في الماضي، ولو قبل ذلك بدقيقة واحدة وسيظل هذا المعني خالدا: أن المصلي يحصل على وقاية من صلاته .
- قوله تعالي: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُ﴾ فالقرآن الكريم يقول: إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولا يقول إنها تَغفر الفحشاء والمنكر، ولكن ﴿فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ﴾؟.
- وفي النهاية أعلن براءة سيدنا رسول الله ﷺ من هذه الرواية وكذلك براءة سيدنا عمر بن الخطاب وسيدنا معاذ بن جبل وسيدنا عبد الله بن مسعود، وكذا أي صحابي أو صحابية وكذا الإمام البخاري وسيدنا الإمام مسلم وأصحاب السنن الأخرى من هذه الرواية المفتراه على سنة الحبيب صلي الله عليه وسلم. لأن الرواية باطلة وكاذبة ودعوة مفتوحة للفجور.

وأنا أدعو كل من يدعي أنه من علماء السنة أن يقوم بضبط الأحاديث علي القرآن وليس علي الرواة، لأن الخبيث الذي وضع هذه الرواية وضع المتن الفاسد علي سلسلة صحيحة، وصدَّقها الذين يحفظون ولا يفكرون.

وأعلم أخي الكريم أن الأمة الآن في تشرذمها تدفع ثمن غباء هؤلاء المدِّعين للعلم في كل المجالات .

هذا هو اجتهاد خاص فإن قبل فقد أضأت شمعة علي طريق مظلم وطويل، وإن رفض فحسبنا أننا سنُعرض على الله مرة أخرى.

يقول ابن الفارض :

ما بين ضال المنحني وظلاله
ضل المتيم واهتدي بضلاله

الفهـــــرس

على سبيل التقديم ٣

النبي الفقير ١٧

دس الروايات في كتب التفسير والحديث ٢٤

القصة الحقيقية لـ (عبس وتولى) ٢٧

أكذوبة أهل البيت؟ ٣٠

تفضيل الأنبياء ٣٨

نوح عليه السلام ٤١

داوود عليه السلام ٤٤

أيوب عليه السلام ٤٩

علم الساعة ٥٢

المعنى الحقيقي لآية ﴿قل لن يصيبا ...﴾ ٥٥

النحلة ٦١

الفهم بالأمريكاني ٦٥

النوم على المباني ومخاصمة المعاني ٧٠

حرية التعبير في مواجهة احترام الأديان ٧٦

طوفان الإلحاد ٨١

بعد النصر ٨٤

بول الإبل ٨٨

من موانع التقوى: كثرة الدعاء بلا عمل ٩٤

عقبات تواجه الصائم ٩٩

السر الأساسي في صيام رمضان ١٠٣
الطمع في رحمة الله تعالى بلا عمل ١٠٧
لعلكم تتقون ١١١
المتَّقى ١١٣
الذهب المصري ١١٦
الرضاع والضياع ١٢٢
نكاح الجهاد ١٢٧
حسنية ١٢٩
الحديث المدسوس ١٣٣
البعد عن القرآن الكريم ١٣٧
تدوين السنة ١٤٠
إشاعة الفاحشة ١٤٢
فهرس الكتاب ١٥١